جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول

إعداد

مريم ناصر حسن إبراهيم خليل

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستير في

الأديان وحوار الحضارات

يناير 2023م/1444هـ

2023©. مريم ناصر حسن إبراهيم خليل. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة مريم ناصر حسن إبراهيم خليل بتاريخ 28ديسمبر2022،

وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه .وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

د يوسف بنلمهدي

المشرف على الرسالة

د. عبد الرحمن حللي

مناقش داخلي

د. سمير قدوري

مناقش داخلي

د. نجيب بن خيرة

مناقش خارجي

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

مريم ناصر حسن إبراهيم خليل، ماجستير في [الأديان وحوار الحضارات]:

يناير 2023.

العنوان: التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول

المشرف على الرسالة: د يوسف بنلمهدي

يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقات الإسلامية المسيحية الدالة على التفاعل الحضاري خلال العصر العباسي الأول من عام 132هـ إلى عام 232 هـ، أي ما يوافق ميلادياً عام 750 م حتى عام 847 م، من خلال إبراز النواحي السياسية، والاجتماعية، والدينية، والعلمية وذلك لمعالجة التشويش وسوء الفهم الحاصل لدى بعض المسلمين والمسيحيين معاً في تصور العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في الأصول الدينية والتجربة الحضارية المؤسسة، والاستفادة من ذلك العصر في تأصيل قواعد وأساليب التعامل مع الآخر، وقد اقتضت الدراسة اتباع المنهج التاريخي في اكتشاف وتحليل المجالات التفاعلية بين الطرفين وفق تسلسل زمني، مع الاستعانة بالمنهج الوصفي لدراسة مظاهر العلاقات الإسلامية المسيحية بدقة، مما بين لنا أثر التفاعل الحضاري الإيجابي لهذه الفترة على الحضارة الإنسانية بأكملها وذلك عبر الاستفادة من الثقافات والأعراق الأخرى في تطوير النظم السياسية والطرز العمرانية، وفورة نشاط الملتقيات الثقافية والدينية بين المسلمين والمسيحيين مما أسهم في تقدم الحركات العلمية.

الكلمات المفتاحية:

التفاعل الحضاري، التدافع، الصراع، العلاقات الإسلامية المسيحية، العصر العباسي الأول.

ABSTRACT

Civilizational Interaction between Muslims and Christians in the first Abbasid era

This research aims to study the Muslim-Christian relations that indicate civilizational interaction during the first Abbasid era from 132 AH to 232 AH, i.e. what corresponds to AD in 750 AD until 847 AD, by highlighting the political, social, religious and scientific aspects in order to address the confusion and misunderstanding that occurs among some Muslims and Christians together in the perception of the relationship between Muslims and Christians in religious origins and the institutional civilizational experience, and to benefit from that era in rooting the rules and methods of dealing with The study necessitated the adoption of the historical approach in discovering and analyzing the interactive areas between the two parties according to chronology, with the use of the descriptive approach to study the manifestations of Muslim-Christian relations accurately, which showed us the impact of the positive civilizational interaction of this period on the entire human civilization by taking advantage of other cultures and ethnicities in the development of political systems and urban models, and the surge in the activity of cultural and religious forums between Muslims and Christians, which contributed to the progress of scientific movements.

Key words: Civilizational interaction, stampede, conflict, Islamic-Christian relations, the first Abbasid era.

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على فضله علي، وتوفيقه لي في إتمام مرحلة الماجستير، والذي لولاه جل جلاله لما كنت وصلت إلى الختام.

أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة قطر على سعيها وراء تطويرنا في سبيل الوصول إلى التقدم العلمي، وأخص بالتحديد مشرف الرسالة الأستاذ الدكتور يوسف بنلمهدي، فقد كان نعم الأب والمرشد والمعلم الذي سعى حقيقة في تعليمي لإنتاج هذا العمل، كما أتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور أحمد زايد في دعمه وتشجيعه لنا خلال هذه المرحلة العلمية.

وكما يطيب لي أن أشكر كل من ساهم في تكوين حصيلتي العلمية، وتطوير قدراتي الشخصية أساتذتي الأفاضل الأستاذ الدكتور عبد القادر بخوش، والأستاذ الدكتور محمد خليفة، والأستاذ الدكتور محمد عياش، والأستاذ الدكتور عز الدين معميش، والأستاذ الدكتور علاء هيلات، والأستاذ الدكتور يوسف الصديقي، ولزميلاتي في مقاعد الدراسة.

ولا يتم شكري إلا بعائلتي العزيزة أبي وأمي لدعمهم لي، ولمن ساندي في أصعب لحظاتي، وكان خير صديق لي لذا أتوجه بالشكر والامتنان لصديقاتي موزة الشهواني، وآية معين، وفايزة عبدي، وحصة المهندي، ولكل من شجعني فلولاكم بعد توفيق الله لما أكملت الطريق.

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى أبي الغالي، وإلى أمي الحبيبة

شكراً لأنكم سعيتم في بنائي.

وبكل حب أهديه لمن كان عقبةً في حياتي،

لأنه جعلني أسعى وراء تحقيق أهدافي.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير .....و

الإهداء .....ز

مقدمة 1

أولاً: فكرة البحث 1

ثانياً: أهمية البحث 1

ثالثاً: أهداف البحث..... 2

رابعاً: إشكالية البحث 2

خامساً: منهج البحث 4

سادساً: حدود البحث 4

سابعاً: الدراسات السابقة..... 5

ثامناً: خطة البحث.....10

التمهيد 12

أولاً: التفاعل في اللغة 12

ثانياً: الحضارة في اللغة 16

ثالثاً: الحضارة في الاصطلاح 20

رابعاً: التفاعل الحضاري.....23

الفصل الأول: التفاعل الحضاري من الناحية النظرية 26

المبحث الأول: التفاعل الحضاري تصوراته، وأسسه، وقيمه. **27**

المطلب الأول: التفاعل الحضاري بين التصور الغربي والتصور الإسلامي 27

المطلب الثاني: أسس التفاعل الحضاري.....42

المطلب الثالث: قيم التفاعل الحضاري 58

الفصل الثاني: الحياة الحضارية في العصر العباسي الأول، وكيفية الاستفادة منها في العصر الحالي.....**72**

المبحث الأول: مجالات التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول.....**73**

المطلب الأول: التفاعل بين المسلمين والمسيحيين في مجال السياسة والإدارة 73

المطلب الثاني: التفاعل الاجتماعي بين المسيحيين والمسلمين.....83

المطلب الثالث: العلاقات الدينية بين المسلمين والمسيحيين.....93

المطلب الرابع: التفاعل بين المسلمين والمسيحين في المجال العلمي..... 105

المبحث الثاني: كيفية الاستفادة من العصر العباسي الأول في الواقع المعاصر **114**

المطلب الأول: الإصلاح الداخلي للفرد يقود لصلاح المجتمع الإسلامي..... 114

المطلب الثاني: التعرف على الآخر وخلق فرص للتفاعل معه. 123

خاتمة **132**

قائمة المصادر والمراجع 134

المراجع العربية: 134

المراجع الأجنبية: 146

المواقع الإلكترونية: 149

مقدمة

أولاً: فكرة البحث

يدرس هذا البحث حركة التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول، مع التركيز على الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية والعلمية، ورصد أهم القيم التي سادت في هذا العصر، وكانت سبباً في التحولات الإيجابية التي عرفتها العلاقات الإسلامية المسيحية، وقد حاولت الدراسة الوقوف على أثر الخلافة العباسية في تعزيز التفاعل المشترك، وبيان كيفية الاستفادة من دروس العصر العباسي الأول في معالجة بعض أزمات الثقة والتعاون بين المسلمين والمسيحيين في وقتنا الراهن.

ثانياً: أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في إضاءة صفحات من تاريخ الحضارة الإسلامية، وقيمها الإنسانية النبيلة، وتقييم واقعنا الحالي في كيفية تعاملنا مع الآخر المسيحي، من خلال:

- أولاً: رصد بوادر ومجالات التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول.
- ثانياً: التعرف على أساليب تعامل المسلمين والمسيحيين مع بعضهم البعض للوصول إلى الرقي الحضاري المشترك.
- ثالثاً: تقديم دراسة أصيلة بحيث تكون مرجعاً لكل من أراد فهم واقع العلاقات الإسلامية المسيحية في العصر العباسي الأول.

- رابعاً: بيان أثر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين الناتج عن التفاعل الحضاري بين الأطراف، ومحاولة الاستفادة من ذلك في الواقع المعاصر.

ثالثاً: أهداف البحث

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- أولاً: دراسة بوادر ومظاهر التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول.
- ثانياً: التعرف على الأسس التي تقود للتفاعل الحضاري، ومدى علاقتها بالبناء الحضاري.
- ثالثاً: فهم تصور الدراسات التاريخية لعلاقة المسلمين والمسيحيين في ظل العصر العباسي الأول.
- رابعاً: الوقوف على إسهامات العصر العباسي في تحديد طبيعة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين.
- خامساً: إدراك الآثار القيمية، والدينية، والسياسية، والعلمية للتفاعل الحضاري في العصر العباسي الأول.
- سادساً: بيان آفاق الاستفادة من كيفية التفاعل الحضاري السابق وقيمه في الواقع المعاصر.

رابعاً: إشكالية البحث

بسبب ظروف شديدة التعقيد، يعاني المجتمع الإسلامي اليوم من مشاكل حضارية واجتماعية جمة، تؤثر سلباً على التعارف والتعاون بين المسلمين والمسيحيين في العالم

الإسلامي، وتخلق أزمات دورية، وللأسف الشديد فقد اتخذها البعض ذريعة لإنكار إمكانية التعايش في ظل الوعاء الحضاري والسياسي الذي يؤطره الإسلام عقيدة وشريعة وتجربة حضارية ممتدة، مما جعلنا نلجأ لدراسة أحد أهم العصور التي عبرت عن مجد الحضارة الإسلامية، وتنعّم الجميع بخيراتها؛ لنكتشف أهم القيم الحضارية التي حصنت تجربة التعايش في ظل الخلافة العباسية مراعية قيم العيش المشترك والتفاعل الإيجابي بين أتباع الأديان، وأهم الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها هي:

1. ماذا يعني التفاعل الحضاري في تصور الفكر الإسلامي وفي التصور الغربي؟
2. ما هي القيم الحضارية التي عززت التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول؟
3. إلى أي مدى ساهمت الخلافة العباسية في حماية المجال الحضاري المشترك؟ وتعزيز العلاقة بين المسلمين والمسيحيين؟
4. إلى أي مدى ساهمت العلاقات الإسلامية المسيحية في إثراء العصر العباسي الأول؟
5. ما هي مجالات التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول؟
6. كيف يمكن الاستفادة من العلاقات الإسلامية المسيحية في العصر العباسي الأول في الواقع المعاصر؟

خامساً: منهج البحث

اقتضت طبيعة الدراسة اتباع المنهج التاريخي في دراسة المجالات التفاعلية بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول وفق التسلسل الزمني لحكم الخلفاء العباسيين، وهذا لمعرفة بداية التفاعل بين الطرفين، وقياس مدى تطور علاقاتهما ببعض، كما تضمنت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في دراسة أهم مظاهر العلاقات الإسلامية المسيحية في مختلف الميادين مثل الميدان الاجتماعي، والميدان السياسي، والميدان الديني، والميدان العلمي؛ مما يبين لنا أثر التفاعل الحضاري في العصر العباسي من خلال التعمق في هذه الأحداث.

سادساً: حدود البحث

- **الحدود الموضوعية:**

تقتصر الدراسة على دراسة العلاقات السياسية، والاجتماعية، والدينية، والعلمية بين المسلمين والمسيحيين خلال العصر العباسي الأول، والتي كان لها دور في بناء الحضارة الإسلامية.

- **الحدود الزمنية:**

تتناول الدراسة التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول من عام 132هـ إلى عام 232 هـ، أي ما يوافق ميلادياً عام 750 م حتى عام 847 م.

سابعاً: الدراسات السابقة

- **Christianity and Islam, by C.H. Becker, (LONDON and NEW YORK: Harper & Bros, 1909).**

تطرق الكاتب إلى أوجه التشـابه والاشـتراك بين الدين الإسـلامي والدين المسـيحي بهدف تسـهيل عملية التبشـير، والبحث عن سـبل التنمية المشـتركة بينهم؛ لأنهم في اعتقاده يرجعون إلى ذات الروح، فتحدث عن اللقاءات التاريخية بين المسيحية والإسـلام، بالإضـافة إلى أنه ارتكز في دراسته على شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وموقف المسيحيين منه، وعلى الرغم من تحيزه في كثيرٍ من المواضـع ضـد الإسـلام إلا أنه صـرح بأن المسـيحية قد تأثرت وتكونت من العناصر اليهودية، والزرادشتية، واليونانية، أي أنه من الناحية التاريخية يعد ذلك التصريح اعترافاً بأن المسيحية البولسية ديانة مستحدثة.

- **رسالة ماجستير بعنوان "النصارى في العصر العباسي مع مقدمة في حالهم في الأدوار السابقة"، لعبد العزيز علوني، (بيروت: كلية الآداب والعلوم-الجامعة الأمريكية، 1942 م).**

تناولت هذه الرسـالة العلاقات بين المسـلمين والمسـيحيين في العصـر العباسـي من عام 750 م حتى عام 1258 م من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية، فقد اتبعت الدراسة المنهج الوصـفي؛ لتوضـيح حياة النصـارى في ظل الحكم الإسـلامي، وتعاملهم مع بعضـهم البعض، وعلى الرغم من أنها حددت الزمن العباسي إلا أن البحث سلط الضوء في كل فكرة على الخلافة الراشدة، ومن ثم العصر الأموي، والعصر العباسي مقتصراً على زمن الخليفة

هارون الرشيد، والخليفة المتوكل، وفيما بعد تحدث عن الدولة الفاطمية؛ أي أن الدراسة تتسم بالعمومية أكثر من التزامها بحدود زمنية، كما حاولت استقراء النتائج لعدم ذكرها بوضوح خلال الدراسة، فكان أبرزها:

- كره المسلمون التظاهرات العامة، والاحتفالات الدينية النصرانية.
- احترم المسلمون أماكن النصارى المقدسة، وقاموا بحمايتها من التعدي.
- عدم تدخل الولاة في أمور الكنيسة الداخلية والقضايا الكهنوتية، والاكتفاء بالمصادقة اسمياً على انتخابات البطاركة.
- نقل النصارى ثقافتهم الخاصة أثناء ترجمات العلوم اليونانية والرومانية إلى اللغة العربية.

- **كتاب بعنوان "أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية،" لرفائيل بابو اسحق، (بغداد: مطبعة شفيق، 1960 م).**

عرض الكاتب حياة النصارى في بغداد أثناء عصر الخلفاء العباسيين، مشيراً إلى حياتهم الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والعلمية، حيث إنها اتسمت من جانب أخلاقي بحسن المعاملة والتسامح، في الحقيقة يعد هذا الكتاب ثرياً بالمعلومات التي توضح للقارئ مدى فعالية تفاعل المسلمين والنصارى مع بعضهم البعض من ناحية إيجابية، لكن على نقيض ذلك احتوى على أخطاءٍ توثيقية تصعّب على القارئ التأكد من صحة المعلومة ومصدرها، منها ماورد صفحة 23 في الهامش (7).

- **رسالة ماجستير بعنوان "الآثار الحضارية للترجمة في العصر العباسي الأول، بيت الحكمة نموذجاً"، لأسامة فلوس، (الجزائر: كلية الآداب واللغات–جامعة تلمسان، 2013 م).**

قدمت الدراســـة دور الترجمة خلال العصـــر العباســـي الأول، وقد حاولت بيان الآثار الحضــارية لهذه الحركة عبر دراســة إحدى النماذج المتمثلة في [بيت الحكمة]، وذلك لمعرفة مدى مساهمة حركة الترجمة في إثراء الحياة العلمية خلال العصر العباسي الأول، باستخدام المنهج التاريخي الوصفي في وصف تسلسل الأحداث لحركة الترجمة وآثارها، كما خلصت الدراسة إلى:

- الإسلام هو الدافع القوي الذي نقل العرب من القبلية إلى العالمية.
- ســـاهم انفتاح المســـلمين على الشـــعوب الأخرى في إيجاد حياة جديدة عبر الجانب الاجتماعي، والجانب السياسي، والجانب الثقافي.
- نتج عن نشاط الترجمة لكتب الأمم الأخرى ظهور العلوم العقلية.
- لعب بيت الحكمة دوراً فعالاً في ازدهار الحياة العلمية عبر الترجمة والتأليف.

- **Muslim – Christian Debates in the Early ‘ABBASID Period: The cases of Timothy I and Thedore Abo Qurra, by Hans Abdiel Harmaka putra, (INDONESIA: MIQOT, Vol 38–No.2, 2014).**

درس الباحث دوافع ازدهار الخطابات والنقاشــات الدينية، والنقاشــات الجدلية بين المســلمين والمسيحيين، مسلطاً الضوء على جانب النقاشات والخطابات الدينية عبر مناظرة الخليفة أبي عبد الله محمد المهدي (785 م –755 م) مع الجاثليق طيمثاوس الأول (728 م – 823 م)، بينما

من الناحية الجدلية فقد ركز على دراسة عصر الخليفة المأمون ومناظراته مع الأسقف ثيودور أبي قرة، وقد احتوت الدراسة على الأسلوب المختصر لتوضيح أهم الدوافع التي أدت إلى هذا النشاط الديني، فكان أبرزها:

- دعم الخلفاء المناظرات الدينية، وحرصوا على تنظيمها لخدمة مصالحهم، والمحافظة على سلطتهم في الخلافة.
- لم يكن الهدف من وراء تلك الخطابات والنقاشات تحسين العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، وإنما هدفها يصب في مصلحة الجانب السياسي للدولة.
- برز تأثير المناظرات والنقاشات المسيحية الإسلامية على المجتمع من خلال نشأة علم الكلام في الجانب الإسلامي، وتطور العقيدة من الجانب المسيحي.

- **دراسة بعنوان "عوامل تواجد النصارى في مدينة واسط ودورهم في الحياة السياسية حتى نهاية العصر العباسي 656 هـ/1258 م"، لأفراح حميد، (العراق: لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية-جامعة واسط، ع 21، 2016 م).**

ركزت الدراسة على أسباب تواجد النصارى في مدينة واسط، والأدوار التي قدموها من الناحية السياسية خلال وجودهم في ظل حكم المسلمين، وتبعت الدراسة المنهج التاريخي في عرض أحوال النصارى وتطوره عبر الزمن، ولكن سلطت الدراسة الضوء على العصر الأموي أكثر من العصور الأخرى، مستخلصةً التالي:

- ساهم العامل التاريخي في استقرار النصارى بمدينة واسط، وذلك لأنهم سكنوا فيها منذ عصور قديمة، وقد ساهم أيضاً العامل الديني في استقرارهم؛ لتطبيق المسلمين الشرع الإسلامي الذي يضمن لأهل الذمة حقوقهم.

- تمتع النصـــارى في ظل الحكم الأموي بالحرية والأمن، لكن عانوا من ســـوء المعاملة، والتمييز الديني والقومي خلال الربع الأخير من ذات الحكم لأسبابٍ سياسية.
- تولى بعض نصـارى واسـط المناصـب السـياسـية الهامة حتى وصـلوا لمكانة نافسـوا فيها الخلفاء المسلمين رغم الضغوط التي تعرضوا لها خلال العصر الاموي.

- **دراسة بعنوان "كنائس وأديرة بغداد في العصر العباسي ودورها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي 132هـ-656هـ"، لوسـن حسـين (العراق: مجلة كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، ع7، 2018 م).**

بحثت هذه الدراسة في الدور الإيجابي الذي قامت به الكنائس أثناء العصر العباسي، معتمدة على المنهج الوصفي في دراسة الكنائس والأديرة، ومحاولة إبراز فعاليتها عبر الجانب الديني والاجتماعي، وما أضـافته أنها وضـحت كيف كانت الكنسـية لها دور فعّال في نفوس أفراد المجتمع بمختلف طوائفهم.

- تشـترك هذه الدراسـة مع الدراسـات السـابقة في أنها تؤيد الدور الفعال للمسـيحيين مع المسـلمين في بناء الحضـارة الإسـلامية، فهي تعد عملاً علمياً يكمل ما وصـلت إليه الدراسات السابقة في هذا المجال، إلا أنها تختلف عنهم في دراسة كيفية تفاعل المسلمين والمسـيحيين في مجتمع واحد مع احتفاظ كل واحد بهويته الدينية وخصـائصـه في شـتى المجالات ونهوضـه بالحضـارة الإسـلامية آنذاك، وذلك بهدف اسـتيعاب أسـاليبهم، والاستفادة منها في واقعنا، وذلك من خلال محاولة قياسها حسب وسائل العصر الحالي، كما التزمت الدراسـة بزمن العصـر العباسـي الأول فقط، وحاولت الباحثة الوصـول إلى أغلب الأحداث التاريخية بين المسلمين والمسيحيين في عصر كل خليفة.

ثامناً: خطة البحث

تتكون الدراسة من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، حيث تناولت الباحثة في المقدمة الإطار النظري، والذي احتوى على فكرة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، وحدودها، كما وضحت طبيعة المنهج الذي اقتضى البحث اتباعه، بالإضافة إلى الدراسات السابقة، بينما التمهيد فقد احتوى على أهم المصطلحات والمفاهيم التي تختص بموضوع الدراسة متمثلة في (التفاعل، الحضارة، التفاعل الحضاري).

وقد درست الباحثة في الفصل الأول التفاعل الحضاري من منظور غربي، ومنظور إسلامي، وأسسه وقيمه، فقسمت الفصل إلى مبحث واحد، والذي بدوره قسم إلى ثلاثة مطالب، في المطلب الأول تناولت التصور الغربي، والتصور الإسلامي للتفاعل الحضاري، وفي المطلب الثاني تحدثت عن أهم الأسس المكونة للتفاعل الحضاري، بينما المطلب الثالث فكان لأبرز القيم الموجودة في التفاعل الحضاري.

أما الفصل الثاني فقد تضمن الحياة الحضارية في العصر العباسي الأول، وكيفية الاستفادة منها في الواقع المعاصر، وقسمت الفصل إلى مبحثين، فدرست في المبحث الأول أهم مجالات التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول من خلال أربعة مطالب، فكان المطلب الأول عن العلاقات الإسلامية المسيحية من الناحية السياسية، والمطلب الثاني من الناحية الاجتماعية، أما المطلب الثالث درست العلاقات الإسلامية المسيحية من الناحية الدينية، وفي المطلب الرابع درستها من ناحية علمية.

وفيما يخص المبحث الثاني تناولت فيه كيف يمكن الاستفادة من العلاقات الإسلامية المسيحية خلال العصر العباسي الأول في واقعنا الحالي، وذلك عبر مطلبين احتوى المطلب

الأول على إشكالية التعصب الديني ضد الآخر معوقاً للتفاعل الحضاري، بينما المطلب الثاني تحدث عن كيفية التعرف على الآخر وخلق فرص للتفاعل معه.

ومن جهة الخاتمة فشملت أهم النتائج، والمصادر والمراجع التي تم الاستعانة بها خلال الدراسة.

التمهيد

أولاً: التفاعل في اللغة

من خلال مراجعة معاني التفاعل في المعاجم اللغوية عامة والمعاجم الحديثة بصفة خاصة، نجدها تدل على معاني "المعية والاشتراك والمصاحبة"[1] وكلها تفيدنا في جانب الدراسات الحضارية، من ذلك على سبيل المثال ما ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة الذي نص على:

"تفاعلَ يتفاعل، تفاعُلاً، فهو متفاعِل، تفاعل الشَّيئان أثَّر كلٌّ منهما في الآخر"[2].

وفي المعجم الوسيط: " تفاعلا: أثر كل منهما في الآخر"[3].

وبناءً على استقراء علماء اللغة فلفظ "تفاعل" يعبر على " التشارك في أوسع معانيه، ويدل على كل ما يصدر من اثنين فصاعداً"[4]، وبالتالي فالتفاعل لا يكون مجرد انفعال أو خضوع سلبي لتأثير الطرف الآخر، بل لا بد من التأثير والتأثر، فالمعنى الموجود في لفظ التفاعل يعطيه صيغة دلالية خاصة يصعب معها تصوره

---

[1] يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في دقائق اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2012 م، ص 59.

[2] عبد الحميد، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2008 م. ج 1، ص 1725.

[3] أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية– مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004 م، ص 695.

[4] الزاملي، مجدي خير الله، معجم الصواب اللغوي في أبنية الأفعال، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2013 م، ج3، ص 81.

في إطار تأثير أحادي أو هيمنة ثقافية أو اجتماعية وسياسية في أنموذج العلاقة التفاعلية، بل يلزم التعددية والتشارك.

ولا يكتمل حديثنا عن الدلالة اللغوية دون الوقوف على مستوى دلالي يفصح عنه معنى المطاوعة الذي تختزنه كلمة "تفاعل" كما تختزنه صيغتها الصرفية، وبالتالي صار لازماً الحديث عن اقتضاء التفاعل المطاوعة والإرادة المتبادلة في المشاركة والفاعلية، أو على الأقل قبول التأثر بأثر واقع من فاعل.

ومع أن أثر هذه الفاعلية لا يتحقق إلا على وجه التغليب، لكنها مطلوبة، لأن المستوى الدلالي يقتضي الاشتراك في الفاعلية لفظاً وفي المفعولية معنى كما بين ذلك عباس حسن في كتابه النحو الوافي[5].

هذا بخصوص اللغة العربية أما بخصوص الإنجليزية، فتخبرنا القواميس عن كلمة (interaction) أنها مؤلفة من مقطعين: (inter) و (action) ترجع كلمة inter في الأصل إلى اللاتينية ويقصد بها (الوسط)، إذ تستخدم كجزءٍ ثابت في الكلام[6]، أما في المعاجم الإنجليزية فلم يختلف معناها كثيراً عن المعنى اللاتيني، فقد جاءت بمعنى (بين / في) ليستخدما في الربط بين الأشياء أو الصفات[7] كقول "الرياضة بين الجامعات"[8].

---

[5] حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط 4، ج2، ص 167 (د.ت).

[6] Latin Dictionary (inter) https://www.online-latin-dictionary.com/latin-english dictionary.php?parola=inter .

[7] Collins Dictionary (inter) https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/inter.

[8] American Dictionary (inter) https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/inter

من هذه المعاني لكلمة inter في المعاجم الأجنبية نجد بأنها جميعها جمعت بين سمة أساسية لا غنى عنها في المفاهيم اللغوية، والاصطلاحية وهي سمة الربط بين الأشياء، إذ تعد الخط الواصل في العلاقة بين طرف وآخر حسب الاستخدام اللغوي، وفيما يخص الجزء الأخر المعني بـ (action)، فقد دل على (القيام بالفعل) أو (اتخاذ إجراء ما).

على سبيل المثال لا بد من اتخاذ إجراء ما لمنع انتشار المرض، بينما في معنى آخر أفادت (التأثير)[9]، ولا يبعد هذا المعنى عن المعنى السابق من خلال ما يقوم به الفعل، بعبارة أخرى الفعل الذي نقوم به يترك أثراً ما.

من هنا تتبين علاقة الترابط بين (الفعل) و (التأثير) والتي تحيلنا إلى التركيب (interaction) حسب القواميس الأجنبية مشيرة إلى النتيجة النهائية لما سبق (فالفعل) و (التأثير) يشكلان لنا (التفاعل/ التأثير المتبادل) بين شخصين أو أكثر نتيجةً لتواصل حدث بينهما[10].

---

[9] Cambridge Dictionary (action) https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/action .

[10] Webster's New World College Dictionary, 4th Edition. Copyright © 2010 by Houghton Mifflin Harcourt. All rights reserved (interaction)
https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/interaction .

وقد أشـــارت المعاجم إلى عدة أمثلة في مجالات مختلفة تبين معنى التفاعل (interaction) منها[11]:

1. المجال الاجتماعي: "تشجع الشبكات الاجتماعية الإلكترونية على التفاعل بين أبناء المنطقة الواحدة؛ مما يجعلهم على معرفة بالأحداث التي تحدث في منطقتهم".

2. المجال الفيزيائي: "تنتقل الطاقة بين الجزيئات، فيؤثر كل جزيء على الآخر".

إذاً نســـتنتج بأن التفاعل آليته واحدة في جميع المجالات، من خلال الجمع بين طرفين أو أطراف متعددة في لقاء، أو اتصـــال أو مواجهة أو حديث أو فعل أو أي صلة يمكنها أن تجمع بين الأطراف؛ لتؤثر عليهم بطريقة متبادلة.

ويتفق الاســـتعمال اللغوي في العربية والإنجليزية على المعية من خلال تعدية الفعل في العربية بـ (بين)، وكذلك (مع) التي تعد صحيحة في الاستعمال، وهكذا في الإنجليزية يعبر عنها بـ (between).

وعلى المستوى الدلالي تشترك العربية مع الإنجليزية في معاني عدة منها:

1- العلاقة: وهي رابطة تربط بين الأطراف المشاركين في العلاقة التفاعلية.

2- التبادل: وهو ما يعبر عن أساس علاقة التفاعل في الأخذ والرد بين الأشخاص.

---

[11] Collins English Dictionary. Copyright © HarperCollins Publishers in American English (interaction) https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/interaction .

3- التأثير: مثل هذا المعنى بصورة كبيرة مصطلح التفاعل لدى العربية، والإنجليزية، ويمكن تقنينه في مصـــطلح (التأثير التبادلي) حيث إن كل طرف يؤثر على الآخر في عملية التفاعل.

ثانياً: الحضارة في اللغة

1) مصطلح الحضارة في السياق الدلالي الغربي:

تعددت الدلالات اللغوية للفظ (الحضـارة) بين الباحثين، والمتخصـصـين بتعدد مرجعياتهم في مختلف المجالات، ومع ذلك تحتم علينا الأمانة العلمية الرجوع إلى أصـل الكلمة، فلفظ الحضـارة هو ترجمة لكلمة (civilization) في اللغة الإنجليزية، وبعد التقصـي وجدنا أنها اشـتقت من الجذر اللغوي اللاتيني "civis/civilis" ويعني المدينة، وكل من استقر بها[12]، إذاً فالحضارة هنا يقصد بها التمدن، والاستقرار.

من جانبٍ آخر اقترن لفظ الحضـارة (civilization) بألفاظٍ أخرى في العصـري اليونـاني، والرومـاني منهـا لفظ (culture) المـأخوذ عن اللفظ اللاتيني (caltura)، وهو في الأصـــل من الفعل اللاتيني (colere)، ويراد به حرثة الأرض وزراعتها[13]، الجـدير بـالـذكر أن الرابط هنـا بين لفظ "culture" المقترن بلفظ الحضـــــارة

---

[12] COOMARASWAMY, Ananda.K., what is a civilisation? by Lindisfarne press, United Kingdom, 1989, p.1.

[13] Oxford Dictionary (culture)

https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/culture_2 .

(civilization)، وبين دلالة حراثة الأرض هو المعنى المجازي فيه، والمتمثل في "زراعة العقل وتنميته"[14]، وقد نسب هذا المعنى إلى شيشرون، وتم استخدامه من قبل الفلاسفة فيما بعد.

بينما في القرن التاسع عشر اتجه لفظ (culture) للدلالة على الآداب، والمعارف، والسلوكيات التي اكتسبها الفرد أو المجتمع[15]، هذا يعني أن دلالات هذا اللفظ اللغوية أصيبت بعدة تحولات، فإذا اتجهنا للمعنى المجازي الفلسفي المنسوب لشيشرون سيتضح بأن هناك فعلاً رابط بين حراثة الأرض، وعقل الإنسان من خلال البذور المعرفية، والسلوكية، واللغوية التي تُغرس فيه، ومن ثم تُسقى بما ينميها، ويطورها إلى أن تصل لمرحلة الحصاد، وجني الثمار عبر المبتكرات، والمنافع، على عكس إن لم يتم الاهتمام بهذه البذور ستفسد بالضبط كعملية زراعة الأرض، وبالانتقال إلى القرن التاسع عشر نجد أن الدلالة اللغوية لم تتغير كثيراً، وإنما تم صياغة الدلالة السابقة بأسلوبٍ علمي.

أما في المسار اللغوي الحديث للغة الإنجليزية استُخدِم لفظ الحضارة (civilization) للدلالة على حالة تطور المجتمع وتطور نظمه، ليتضمن وصف طريقة حياة المجتمعات في فترة زمنية معينة حسب معجم أكسفورد، ومثال على ذلك: حضارة اليونان القديمة، بالإضافة

---

[14] زيادة، معن، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة– المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1987 م، 115، ص49،50.

[15] Oxford Dictionary (مرجع سابق)

https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/culture_2

إلى ما سبق شملت هذه الدلالات دلالة فرعية للفظ الحضارة (civilization)، والتي وصفته بحالة من التثقيف المجتمعي، والتطور السلوكي الأخلاقي الذي طال هذا المجتمع[16].

بناءً على ما تقدم يتضح أن لفظ الحضارة (civilization) يرجع لأصلٍ لاتيني مقترن بلفظٍ آخر (culture)، ومن الواضح أن كلا اللفظين خضعا لتحولات دلالية على فترات مختلفة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الفترات قد ارتبطت بالتاريخ الأوروبي، ومن ثم فلفظ الحضارة في السياق اللغوي الغربي يدل على التمدن، والاستقرار في المدينة، وكيفية طريقة حياة المجتمعات فيها من خلال ما يتم اكتسابه من سلوكيات، وآداب، ومعارف؛ أي أنها تصف حالة تطور هذه المجتمعات، ورقيها.

2) مصطلح الحضارة في السياق الدلالي العربي:

تعد كلمة " الحَضارة" في اللغة العربية بفتح الحاء حسب الأصمعي كلمة مشتقة من الفعل "حضر، فهي من الحضور المناقض للمغيب، والغيبة"[17]، فنقول "حضر، يحضر، حضوراً، وحضارة"[18]، والمقصود بالحضارة في القواميس العربية "الإقامة في

---

[16] Oxford Dictionary (civilization)

https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/civilization

The American Heritage® Dictionary of the English Language- Fifth Edition copyright ©2022 by HarperCollins Publishers. All rights reserved.

[17] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط 3، 2009 م، ص197.

[18] المرجع نفسه، ص196.

الحضــر"[19] أي الإقامة في المدن، والقرى، والريف، ويرجع ســبب إطلاق اللفظ على هذا المعنى إلى أن "أهله حضروا الأمصار، ومساكن الديار"[20] واستقروا بها.

وكما ارتبط لفظ الحضــارة بدلالات أخرى، كالدلالة على الوجود عند مكان معين أو بالقرب منه، من ذلك على سبيل المثال:" حديث ابن سلمة الجرمي حين قال: كنا بحضرة ماءٍ أي عنده"[21]، وكذلك قول "كنت بحضرة الدار" أي بجانبه، والقرب منه، وقد دل أيضاً على وجود الشــخص وحضــوره مثل قول "ضــربت فلاناً بحضــرة فلان وبمحضــره"[22] أي بوجود الشخص في نفس المكان.

نســتنتج بأن لفظ "الحضــارة" في الســياق الدلالي العربي هو دلالة على الوجود سواء كان هذا الوجود استقراراً في المدينة أو الوجود عند مكان معين، والقرب منه أو حتى وجود الشــخص، وحضــوره، وعليه اشــتركت الدلالات اللغوية للســياق الغربي،

---

[19] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط 1، 1995 م، ج2، ص61.

[20] ابن منظور، لسان العرب (مرجع سابق)، ص197.

[21] حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا عارم أبو النعمان، ثنا حماد بن زيد، ثنا أيوب، ثنا عمرو بن سلمة أبو يزيد الجرمي، قال: كنا بحضرة ماء ممر الناس، فكنا نسألهم: ما هذا الأمر؟ فيقولون: رجل يزعم أنه نبي، وأن الله أرسله، وأن الله أوحى إليه كذا وكذا، فجعلت لا أسمع شيئا من ذلك إلا حفظته، كأنما يغرى في صدري بغراء ، حتى جمعت منه قرآنا كثيرا ، قال: فكانت العرب تلوم بإسلامها الفتح ، ويقولون : انظروا ، فإن ظهره عليهم فهو صادق ، وهو نبي، فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلام قومهم، فانطلق أبي بإسلام أهل حوائنا ذلك، فأقام مع النبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقيم، ثم أقبل، فلما دنا منا تلقيناه، فلما رأيناه قال: جئتكم والله من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا، قال : ثم قال : " إنه يأمركم بكذا وكذا، وينهاكم عن كذا وكذا، وأن تصلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنا "رواه البخاري (6349)، الطبراني، الحافظ أبي القاسم، المعجم الكبير، ج 7، ص55–56.(د.ت)

[22] ابن منظور، لسان العرب (مرجع سابق)، ص197.

والسياق العربي في أن لفظ " الحضارة" يعني التمدن، والاستقرار، ومع دراسة أصل اللفظ يظهر أن دلالة الكلمة في السياق اللغوي الغربي قد انتقلت إلى السياق اللغوي العربي مع إضافات دلالية جديدة.

ثالثاً: الحضارة في الاصطلاح

نشأ التاريخ الإنساني بتفاعل العديد من الحضارات ذات الأثر العظيم مثل: الحضارة اليونانية، والرومانية، والعربية الإسلامية، ومع تعاقب نشوء الجديد منها، وغياب القديم ظهر مصطلح (الحضارة) في عصورٍ متأخرة سواء في السياق الاصطلاحي الغربي أو في السياق الاصطلاحي العربي.

1) مصطلح الحضارة في السياق الاصطلاحي الغربي:

عرَّف عالم اللاهوت والفيلسوف ألبرت أشْفيتسرُ Albert Schweitzer الحضارة بأنها "التقدم الروحي، والمادي للأفراد والجماهير على السواء"[23]، ويقصد بالتقدم الروحي هو سيطرة العقل على النوازع الإنسانية، أي توجيه إرادته، وأفعاله، والتحكم بها مخصصاً مسار هذا التوجيه نحو الخير، بينما الجانب المادي هو أيضاً سيطرة العقل لكن على الماديات، واستغلالها لصالحه، وفي اعتقاده لا تصل الحضارات إلى غاياتها، وكمالها إلا عن طريق الأفراد، والمجتمعات[24].

---

[23] أشْفيتسرُ، ألبرت، فلسفة الحضارة، ترجمة/ عبد الرحمن بدوي، المؤسسة المصرية العامة، مطبعة مصر،1963 م، ص 34.

[24] المرجع نفسه، ص34-36.

فتعريف أشـڤيتسرُ للحضـارة يعزز من الجانب الأخلاقي في المجتمعات، بل يؤكد إن لم يوجد الجانب الأخلاقي لن تشيد الحضـارة، وإن شيدت ستفسد مع الوقت، والمراد هنا أن جوهر الحضارة هو الأخلاق.

وفي تعريفٍ آخر للحضـــارة يدرس ول ديورانت هذا المصـــطلح في إطار مجتمعي، فالحضارة بالنسبة له هي "نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي"[25]، وهذا النظام يتفرع منه عدة نظم منها السـياسـي، والأخلاقي، والأدبي، وكذلك الاقتصـادي، كما أنه يؤكد أن المجتمعات لن تسـتطيع الوصـول إلى "الحضـارة" إذا كانت مسـلوبة الأمن، والأمان، ومهددة بالاسـتقرار، وتعتريها الحروب، والاضـطرابات؛ لأن الإنسـان بطبيعته يتوقف عن الإبداع في ظل هذه الظروف[26].

في الحقيقة تبدو وجهة نظر ديورانت لهذا المصـــطلح محددة، وواقعية إلى حدٍ ما، إذ أن الإنسـان حسـب رأيه هو المتحكم، والمحرك الرئيسـي لدى أي مجتمع، أي أن جوهر الحضـارة لدى ديورانت هو الإنســـان، فإن لم يكن الإنســـان موجوداً لن تكون هناك ابتكارات، ومنافع، ولن توجد المجتمعات، بل لن تقام الحضارات من الأساس، وفي الجانب الآخر نلاحظ أن أشڤيتسرُ، وديورانت قد اتفقا على مدى أهمية الجانب الأخلاقي في بناء أي حضارة.

---

[25] ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة/ زكي نجيب وآخرون، دار الجيل، بيروت–لبنان، 1948 م، ج1، ص3.

[26] المرجع نفسه، ص4–6.

2) مصطلح الحضارة في السياق الاصطلاحي العربي:

يرى طه عبيد أن مصطلح الحضارة من المصطلحات الحديثة، والمعاصرة التي لا يخلو بعضها من الإشكاليات الكبرى، بالأخص في وضع مفهوم محدد لها، فحسب اعتقاده تعاقب الحضارات وظهورها لا يعني بالضرورة تماثل ظروفها وخصائصها، فكل حضارة تختلف عن الأخرى، وكل حضارة تفردت بأدوارها عبر التاريخ الإنساني، لهذا كان للاختلاف أثر في نشأة فكر العلماء، والمتخصصين، إذ قاموا بتعريف الحضارة حسب أيدولوجياتهم، وبيئتهم التي نشأوا بها، لما كان له من أثر على موضوعية المفهوم، وتحديد مساره[27].

وفي ذات السياق العربي عرف ابن خلدون الحضارة "بالتفنن في الترف، واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه، وسائر فنونه كالصنائع المهيئة للمطابخ، أو الملابس، أو المباني، أو الآنية"[28]، ثم يشرح أنه إذا ما وصلت أحوال الناس إلى غاية الترف انتقلوا إلى المرحلة التالية وهي اتباع شهوات النفس، وعدم استقامة حالها الديني، والدنيوي، ويمكن معرفة ذلك عن طريق العمران فمتى ما كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل[29].

---

[27] راجع: عبيد، طه خضر، الحضارة العربية الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1971 م، ص13.

[28] ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر (تاريخ ابن خلدون)، بيت الأفكار الدولية، عمان–الأردن، 2009 م، ص187.

[29] المرجع نفسه، ص188.

ولا شك أن ابن خلدون شرح ما تمر به العديد من الحضارات بأسلوب موجز، فمع نشأة المجتمعات، وتطورها بواسطة الإنسان تأتي عليها مرحلة الذروة التي تصل فيها إلى الكمال المادي من ترف الحال، وعمران المدن، وبما أنها وصلت لهذه المرحلة تبدأ الحضارة بعدها إلى الانحدار عبر اتباع الإنسان شهواته، والاستمتاع بملذات مجتمعه، إذاً الحضارة هنا هي بداية لنهاية المجتمعات حسب ابن خلدون.

يترتب على ما سبق أن للحضارة مفاهيم، ومعاني متعددة في السياقات الغربية والعربية، ولا يمكن حصرها في معنى واحد، ولكن جميعها عبرت عن جوانب موجودة في الحضارات، فهناك من عبر عنها من جانب أخلاقي، وآخر من جانب عمراني، وهناك من عرفها من جانب اجتماعي، وثقافي، ومع كل هذه الجوانب المختلفة لم يوضع للحضارة تعريف جامع مانع، ولابد من الإشارة إلى العامل المشترك بينها وهو إنجاز الإنسان في محيطه المجتمعي بهدف الوصول إلى الكمال سواء كان هذا الكمال روحياً أو مادياً.

رابعاً: التفاعل الحضاري

على الرغم من وجود مصطلح التفاعل الحضاري بين الأمم، والحضارات في علاقاتها مع بعضها البعض عبر التاريخ، إلا أن التفاعل الحضاري كمصطلح لم يظهر على ساحة البحث العلمي إلا مؤخراً، فكانت هناك بعض من المحاولات في الدراسات الحديثة لتحديد هذا المفهوم على النطاق العام.

ومن ضـــمن هذه المحاولات محاولة محمود ســفر في كتابه "الحضـــارة تحد" والذي يرى أن التفاعل الحضاري هو أساس التحدي المواجه لأي حضارة، فتكون مطالبة بأن تنفتح على العالم، وتواكب مســـتجداته، فتأخذ منه، وتعطي له دون ذوبان أو فقدان للهوية مع المحافظة على خصائصها، وقيمها، وثقافتها[30]

ووفق رؤية سفر نجده يُجمل التفاعل الحضاري في التعرف على الآخر، والتعلم منه حسب ما يناسب خصائص كل حضارة دون أن يكون ذلك التعلم، والنقل من الآخر نقلاً حرفياً، فالتفاعل الحضــاري بذلك يكون أســاس التحدي، إذ أن الحضــارة التي تطمح للتكامل الحضــاري هي من تقتبس عن غيرها، وتبتكر الجديد.

وفي تصـنيف التفاعل الحضـاري يضـعه عمر حسـنة في إطار مصـطلح "التفاعل الإيجابي" المعتمد على التواصل الثقافي السلمي، والذي يتزامن مع الواقع في تطوره، ويحقق غاية الحضارة الإنســانية، أي أن يقوم الأطراف في عملية التفاعل الإيجابي بأدوار متبادلة أســاســها الاحترام، والسـلم، والحفاظ على الذات بخصــائصــها، وقناعاتها الفكرية بعيدة كل البعد عن الهيمنة، وذلك لأن التفاعل يتم في دائرة الحوار الهادئ[31]، لكن هل يعني ذلك أن التفاعل الحضـــاري تفاعل إيجابي سلمي؟

---

[30] سفر، محمود محمد، الحضارة تحد، تهامة للنشر والتوزيع، جدة–المملكة العربية السعودية، ط1، 1980 م، ص18–19.

[31] زهرة، عطا محمد حسن، تكامل الحضارات بين الإشكاليات والإمكانيات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2014 م، ص57.

من جهةٍ أخرى يصـف هانس كوكلر التفاعل الحضـاري أنه عبارة عن التقاء الآخر للوعي بالذات، ولا يتم ذلك إلا على أســاس معياري، وأخلاقي، مثل تبني التســامح لفهم الآخر، فيذكر بأنه لابد من عدم اعتبار الآخر خطراً على الهوية الخاصة، بل هو عامل مساهم لتحقيق المعرفة الذاتية، والوعي بها بطريقة نقدية، كما أنه يحث على احترام الآخر كحق من حقوق الإنسان[32].

يتضـــح من رأي كوكلر أنه يحاول تهدئة روع الحضـــارة الغربية عن طريق توجيهها لفكرة التفاعل الحضاري، ومحاولة الاستفادة من الحضارات الأخرى في سبيل المنهج الذي تسير عليه وهو منهج المصلحة الذاتية.

وبالاطلاع على المراجع التي تُعنى بمجال التفاعل الحضـــاري، لم نعثر فيها على ذكر مصـــطلح التفاعل الحضـــاري لفظاً، وإنما وردت ألفاظ مقاربة له تؤدي إلى نفس المعنى منها مصطلح (التواصل) الذي توظفه العلوم الاجتماعية؛ لدراسة وفهم المواقف الاجتماعية كونها تهتم بالتفاعل المباشـــر بين الأطراف، وترصـــد عناصـــر التفاعل المتمثلة في (المتلقي، والمرســـل، والرسالة)[33].

إذاً لا يمكن أن يتفاعل طرف مع آخر دون أن يتواصـل معه أولاً مثلما شـوهد في المصـادر التاريخية التي تتحدث عن علاقات الحضارات ببعضها البعض سواء على مستوى الغرب أو على مستوى الشرق.

---

[32] كوكلر، هانس، تشنج العلاقة بين الغرب والمسلمين الأسباب والحلول، تقديم وتعريب/ حميد لشهب، جداول للنشر، الكويت، ط1، 2013 م، ص 158-159.

[33] مارشال، جوردن، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة/ أحمد زايد وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2000 م، ج1، ص 84-85.

الفصل الأول: التفاعل الحضاري من الناحية النظرية

تمهيد

يعد مفهوم التفاعل الحضاري من المفاهيم الحديثة في مجال الدراسات الإنسانية والحضارية، دون أن يعني ذلك أي إنكار منا لقدم المعاني الإيجابية التي يعبر عنها، وتواترها في المضامين الدينية والفكرية والأخلاقية، غير أن هذا لا يسمح لنا بالجزم بأن المعنى الإيجابي للمفهوم هو السائد، وذلك لتعدد المواقف وتنوعها، وارتباطها بمتغيرات حضارية وثقافية وتاريخية.

وبناءً عليه يحق لنا فحص المصطلح ودراسة دلالاته في سياق لغوي وحضاري جديد؛ يسعى إلى تمحيص الماضي واكتشاف مخزونه الذي ارتبط بالنسبة للحضارة الإسلامية بالأصل الرباني والتجربة النبوية المعصومة ثم التجارب الراشدة للخلفاء المسلمين، ومن هذا المنطلق نطرح الأسئلة التالية:

ماذا نقصد بالتفاعل الحضاري؟ وما هي عناصره ومقوماته وقيمه؟ وكيف يمكن تقييم تجربة التفاعل الإنساني في السياقات الحضارية القديمة والمعاصرة؟ وما هي العوامل التي أثرت في ذلك؟

المبحث الأول: التفاعل الحضاري تصوراته، وأسسه، وقيمه.

المطلب الأول: التفاعل الحضاري بين التصور الغربي والتصور الإسلامي

- **أولاً: التفاعل الحضاري في التصور الغربي**

نشـــأ العقل الأوروبي في موطن التراث الفلســـفي، والتقاليد الفنية الرومانية، والقوانين الكنسـية المسـيحية التي تبنت صـياغة هذا العقل عبر التاريخ، وكونت علاقته مع الآخر، وأرشدته في كيفية التعامل معه.

- **جذور التصور الغربي في بناء علاقته مع الآخر**

تأســـس منطق العقل الأوروبي في تصـــور العلاقة مع الآخر على فترات تاريخية مختلفة، بدأت من ملاحم العصر اليوناني كملحمة "الألياذة"[34]، و"الأوديسة"[35] التي توسعت في سـرد الصـراعات المتخيلة بين الآلهة آنذاك أبرزها صـراع الإله "زيوس مع أبيه"[36]، وهذه دلالة على أن العصر اليوناني في علاقته مع الآخر كان مليئاً بالصراعات.

---

[34] HOMER, The Eiliad, Translated by: A.T. Murray, William Heinemann LTD, London,1954, p:3.

[35] هوميروس، الأوديسة، ترجمة/ دريني خشبة، دار التنوير، بيروت-لبنان، ط 1، 2013 م، ص7.

[36] نيهاردت، أ.أ.، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة/ هاشم حمادي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق-سوريا، ط1، 1994 م، ص13-14، راجع:

ثم بعد ذلك جاء طور العصر الروماني الذي لم يختلف كثيراً عن العصر اليوناني من خلال تصويره للصراع عبر الأدب والسياسة، فنستدل بذلك على ملحمة "الإلياذة"[37] الشعرية، فلا شك أن الحضارة الرومانية قد اقتبست، وتوارثت عن الحضارة اليونانية الكثير.

وفي القرن التاسع عشر[38] اتجه مسار العقل الأوروبي نحو مؤسسي النظريات، والفلاسفة الذين برزوا في تلك الفترة محاولين من خلال نظرياتهم غرس فكرة الصراع في فلسفة التاريخ والطبيعة، من بينهم داروين صاحب نظرية التطور والارتقاء التي أصبحت ذريعة تخدم مصالح الغرب، فتقول نظريته بأنه لا بد من الصراع لأجل البقاء، والبقاء سيكون من نصيب الأصلح، مقتبساً مصطلح "البقاء للأصلح" من سبنسر حسبما أشار في كتابه[39].

ومن خلال قراءة نصوص داروين في كتابه "أصل الأنواع" لاحظنا أنه يحاول تأصيل فكرة الصراع في تفاصيل الحياة اليومية كصراع النباتات مثلاً، وهو بذلك يحاول إثبات أن الصراع سلوك طبيعي لا بد منه؛ لأجل العيش وتحقيق مصالحنا، حتى لو كان ذلك على حساب حياة الآخرين[40].

ومن جانبٍ آخر برزت توجهات تأثرت بالداروينية وكان لها أثر واضح في المجتمع الأوروبي أبرزها التوجه الشيوعي لكارل ماركس وإنجلز[41] اللذان افترضا أن التاريخ عبارة عن

Pierre, Jean, Myth and tragedy in Ancient Greece Paperback, Zone books, 1990, p:26.

[37] هاملتون، أديث، الأسلوب الروماني في الادب والفن والحياة، ترجمة/ حنا عبود، وزارة الثقافة، دمشق–سوريا، 1997 م، ص201–202.

[38] الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1979 م، ج2، ص642.

[39] Darwin, Charles, The origin of species, collector's library, London,1859, p:72

[40] See: Darwin, Charles, The origin of species (مرجع سابق) p:82,138–140

[41] المسيري، عبد الوهاب، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، ط1، 2002 م، ص97.

صـراع بين الطبقات معتمداً على الهيكلة الاجتماعية، والموارد الاقتصـادية واعتبرا ذلك أسـاس تفسير التاريخ وتغييره[42] حسب رأيهم.

وبالتعمق في البيان الشـيوعي يتضـح أن النظرة المادية للعقل الأوروبي بدت تتجلى بوضـوح في تلك الفترة، والتي كانت بين سـطور البيانات المعلنة، فأبرز ما ورد عن الصـراع في البيانات الشـيوعية "الصـراع بين الطبقة المهيمنة البرجوازية، وبين الطبقة المغلوبة على أمرها البروليتارية"[43].

مما سـبق نلاحظ أن تاريخ العقل الأوروبي نشـأ وسـط صـراعات فعلية، وتأسـس على نظريات روجت للصراعات بمختلف أنواعها بين كتاباتها المصرحة بأن غايتها تمكين الإنسان من العيش، وتحقيق مصالحه، ومكاسبه المادية.

- التنظير لصراع الحضارات

تبلورت فكرة الصـراع في التصـور الغربي من منطلق حضـاري خلال القرن العشرين، إذ تناول برنارد لويس المستشرق اليهودي ذو الخلفية الصـهيونية والاستشراقية علاقة الإسـلام بالغرب بناءً على التصـور الغربي المتوارث تاريخياً حول العلاقة مع الآخر، وذلك في مقال

---

[42] Marx, Karl, Engels, Friedrich, Manifesto of the Communist Party, translated: Samuel Moore in cooperation with Frederick Engels, Source: Marx/Engels Selected Works, Vol.1, Progress Publishers, Moscow, 1969, pp. 98-137.

*البوليتاريا: مصطلح ألماني أطلق على فئة العمال من قبل الماركسيين، بالإضافة على من يصعب عليه اكتساب الوعي الطبقي، وبالنسبة لهم هذه الطبقة تعمل في أعمال غير رسمية مثال: من يقوم بمسح الأحذية، راجع: الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية (مرجع سابق)، ج1، ص533.

[43] Marx, Karl, Engels, Friedrich, Manifesto of the Communist Party (مرجع سابق), p:98-137.

شهير له بعنوان "جذور الغضب الإسلامي" تناول فيه علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية قائلاً عنها بأنها علاقة صراع امتدت أكثر من أربعة عشر عاماً[44]، وذلك بسبب أن الدين الإسلامي العظيم أصابته فترات من العدائية كانت دائماً يا للأسف من نصيب الغرب حسب وصفه[45].

وفي رأيه لابد من حماية التراث اليهودي المسيحي من خطر الإسلام بشتى الطرق مؤكداً بعبارات غير مباشرة على اتخاذ المنهج العدائي كوسيلة مثلى لمواجهة هذا الخطر، ووفقاً لرؤيته فإنه يحاول تبرير صراعات الغرب ضد الإسلام[46]، ولا بد من الإشارة إلى أن لويس من أبرز الشخصيات التي مهدت لنظرية صراع الحضارات من خلال رؤيته، وذكره لمصطلح "صراع الحضارات" بالتحديد عام 1990م[47].

بدأت الأطاريح الفكرية تتكون في عدة مجالات خاصة الداعمة لعلاقة الغرب مع الآخر كأطروحة "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما الصادرة عام 1989 م، محاولاً تطويرها في كتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" عام 1992 م[48].

---

[44] Lewis, Bernard, The roots of Muslim rage, The Atlantic Monthly, United States ,266, v3, 1990, p:49.

[45] Lewis, Bernard, The roots of Muslim rage (مرجع سابق) p.48.

[46] راجع: سعد، جهاد، صهينة الغرب وتتريك العالم الإسلامي، المركز الإسلامي للدراسات الاستشراقية، بيروت–لبنان، ط 1، 2018 م، ص7.

[47]Fukuyama, Francis, The End of History? The National Interest, Washington, Summer 1989, p:1.

[48] Fukuyama, Francis, The End of History and the last man, free press: Reissue edition, 2006.

تحدث فوكوياما في أطروحته عن النموذج الديمقراطي الليبرالي باعتباره النموذج النهائي الأمثل لكل المجتمعات، والمتفوق على كل الأنظمة الأخرى كالشيوعية، والفاشية، فمن خلال قراءة نظريته لاحظنا بأنه اتبع منهج داروين في فكرة "النشوء والارتقاء" وفكرة البقاء للأصلح، إذ إن الديمقراطية الليبرالية تمثل النموذج النهائي، والأصلح في التطور الأيديولوجي الإنساني، بعبارة أخرى انطلق فوكوياما في أطروحته من انتماء وإيمان بالتفوق الغربي المادي غاضاً البصر عن أي نماذج أخرى يمكن أن تكمل النقص المحتمل في النموذج الغربي.

وفي ظل موجات التنظير الفكري من قبل الغرب أثارت أطروحة أخرى الجدل في الأوساط بعنوان "صدام الحضارات" الصادرة عام 1993 م لصموئيل هنتنجتون، وقد خالفت هذه الأطروحة أطروحة فوكوياما، فقد رأى هنتنغتون أن تفوق النظام الديمقراطي الليبرالي لا يعد نهاية الصراع، بل لابد أن ينطلق إلى خارج محيطه، ويمثل الغرب ضد الآخر من خلال قوله " إن الأنظمة السياسية قد تصارعت بينها وبين بعض داخل الإطار الغربي، لكن بعد الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي سيتصارع الغرب مع الحضارات غير الغربية"[49] فيمثل هذا النموذج الغرب من الجانب الثقافي الحضاري، بسبب التباين اللغوي، والديني، والثقافي.

[49] Huntington, Samuel, The clash of civilization, Council on foreign affairs, vol.72, No.3, 1993, p:3-5.

طور هنتنغتون نظريته عبر كتابه "صـدام الحضـارات وإعادة النظام العالمي" الصـادر عام 1996 م من خلال جزمه بأن العلاقة بين الحضـارات سـتكون علاقة صـدام وصـراع، ويضـم ذلك الصـراع صـراعات داخلية تضـم الحروب القبلية والعرقية داخل الحضـارة نفسـها وصـراعات خارجية تشـمل الدول والمجتمعات، ويرجح هنتنغتون بأن الصـراعات الخارجية ستكون أشد عدائية وذلك للاختلاف القيمي، والفكري[50].

ويسـتدل هنتنغتون على صـراع الحضـارة الإسـلامية مع الحضـارة الغربية، فمن وجهة نظره أن هناك مشـكلة في الإسـلام تكمن " في اختلاف ثقافته، وإيمان أتباعه بعالمية تلك الثقافة وقوتها، مع عدم تقبلهم للغرب، والاعتقاد بوجوب نشـر ثقافة الإسـلام حتى وإن كان الوضع متدهوراً" [51].

وبالإشـارة إلى الصـراع الحضـاري القائم بين الحضـارات قسـم هنتنغتون الحضـارات بحسـب الهوية الثقافية، واحتمالية النزاع الحضـاري فيما بينهم مسـلطاً الضـوء على العداء الغربي الإسلامي[52].

وفي ضوء ما تقدم تشكل نظرية هنتنغتون خطورة في تحديد مسار العلاقات الحاضرة، والمسـتقبلية بين الحضـارات، خاصـة بأنه اسـتبعد مبدأ التعارف، والحوار، والتعاون بين الشـعوب، والأدهى أنه ألغى مبدأ حسـن الجوار، وتعزيز العلاقات مع الآخر، وركز على

---

[50] هنتنغتون، صموئيل، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة/ طلعت الشايب، دار سطور، العراق، ط 2، 1999 م، ص46.

[51] هنتنغتون، صموئيل، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي (مرجع سابق)، ص352.

[52] المرجع نفسه، ص75-79.

صناعة عدو ينافس الحضارة الغربية حتى تستطيع إثبات ذاتها انطلاقاً من تفوق، واستعلاء حضاري تاريخي.

وبذلك نخلص إلى أن التفاعل الحضاري في التصور الغربي العام تمحور حول الصراع الممتد عبر التاريخ، والمشجع على توظيف الجهود الغربية في سبيل التفوق على الآخر، والسيطرة على خيراته، ومحاولة تهميشه، بالإضافة إلى الترويج لفكرة التقدم الحضاري في إطار المادية كالأسلحة، والتكنولوجيا مما يتيح ذلك الهيمنة الغربية، فمن يمتلك ذلك يعد هو المهيمن الحضاري، وهذا ما ينافي فكرة التفاعل الحضاري الحقيقي مع الآخر، ففي ظل هذا النهج يرتكز الغرب على الاستعلاء والمركزية الحضارية التي تناقض الأخلاق والقيم الإنسانية، كما أنه يعمل على إذابة الحضارات دون التعرف عليها وفهمها في حضارة واحدة ألا وهي الحضارة الغربية.

- **ثانياً: التصور الإسلامي في العلاقة مع الآخر**

جبل الله الإنسان على أن يكون اجتماعياً بالفطرة، فقد حاول في بداية عالمه أن يتعرف على الأشياء، ويتواصل معها، ومن ثم يتفاعل بهدف الوصول لغاية ما، فكذلك المنهج القرآني رسم مساراً تأصيلياً في علاقة الحضارات ببعضها البعض حسب السنة الكونية فتتعارف، وتتواصل، وتتفاعل لتحقيق غاياتها، فجاء في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[53].

---

[53] سورة الحجرات، الآية 13، *يفسر ابن كثير هذه الآية قائلاً "بأن الله تعالى يخبر الناس عن طبيعة خلقهم التي ترجع لنفس واحدة متفرعة إلى آدم وحواء، كما جعلهم شعوباً وهو مصطلح أعم من القبائل، وقيل المقصود به بطون العجم، بينما يقصد بالقبائل بطون العرب، لكن جميع الناس متساويين في أصل خلقهم، فجميعهم خلقوا من طين، بالإضافة إلى أن ميزان

نبهت الآية الكريمة على أهمية تحقيق التعارف بين المجتمعات انطلاقاً من أرضية مشتركة، وهي "وحدانية الأصل البشرى" التي وجدت لتحقيق التكامل الإنساني دون وجود صراعات عدائيه ضد الآخر، وانطلاقاً من منهج القرآن حاول زكي الميلاد تأسيس "مفهوم تعارف الحضارات"[54].

من وجهة نظره فإن الآية السابقة شملت كافة الناس باختلافاتهم، ولم تخص أحداً بعينه أو زمناً محدداً، بل كانت واضحة في أن جميع البشر على هذه الأرض نسبوا لأصل واحد، وهذا الأصل يعد فرصة ثمينة لتنطلق منه الحضارات في التعرف على بعضها البعض متجردة من أي كراهية أو استعلاء، خصوصاً أن هدف الإنسانية أسمى من أن يضيع الإنسان وقته الثمين في تكوين الصراعات ضد الآخرين[55].

ومن حكمة الخطاب القرآني أنه جعل وحدة الإنسانية التي انبثقنا منها موازية للتنوع الاجتماعي، فلم تلغِ هذه الوحدة التنوع بين الأمم، والقبائل، على العكس جعلت هذا التنوع فرعاً من فروعها، كما دعا القرآن الكريم للتواصل، والتعارف لأهميته في تصحيح الصور النمطية المشوهة، والتخلي عن الانعزال أو التنازع الذي يخدم المصالح الفردية[56].

التفاضل فيما بينهم يتمثل طاعة الله ورسوله"، فقد أكد على أن الفاصل الذي يميز الناس عن بعضهم البعض يصور بالتقوى، وهذه دلالة على أهمية منظومة القيم الأخلاقية التي أسسها الإسلام يمكن الرجوع إلى: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، ط1، 2000 م، ص1751.

[54] الميلاد، زكي، المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط 1، 1999م، ص70.

[55] الميلاد، زكي، المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟ (مرجع سابق)، ص70.

[56] راجع: آل غزوى، حسين، مؤتمر تعارف الحضارات الإسكندرية–19/18 مايو2011 م، 2011 م، ع 73، ص157–159، وفي إطار ذلك حينما يدخل التمييز داخل الإطار الإنساني تبدأ الكراهية والأحقاد التي تؤدي إلى الصراع، لذا لا بد من التعارف الحضاري الذي تكمن أهميته بالنسبة للفكر الإسلامي في تصحيح الصورة المشوهة التي لاحقته بسبب الأخطاء الفردية لصانعي تلك الصورة، ونقصد هنا ممارسات العنف، والانفجارات باسم الجهاد والدين.

وبذلك يعد مفهوم حوار الحضـارات حسـب زكي الميلاد رداً مباشـراً على نظريتي صـدام الحضـارات لهنتنغتون، وحوار الحضـارات لغارودي، فإن لم يحدث التعارف بين الحضـارات لن يكون هناك فهمٌ للآخر، وبالتالي لن يكون الحوار ســـليماً كما ينبغي؛ ليتحقق التفاعل الحضاري.

1) التواصل والحوار الحضاري:

منذ بدء الخليقة، والإنســـانية في تحاور مع بعضـــها البعض، حيث كان التواصـــل والحوار مع الآخر مطلباً إنســانياً يصــل الإنســان من خلاله إلى ذاته، فورد تعريف الحوار على لسان ابن منظور بأنه "الرجوع إلى الشيء، أما المحاورة فتعني المحاربة، وأصل الحوار هو الرجوع إلى النقص، أو تراجع الكلام، والتجـاوب فيـه، فيقول: "وهم يتحـاورون أي وهم يتراجعون عن الكلام..."[57].

من جانبٍ آخر ورد لفظ "الحوار" في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

الأول: قصـة أصـحاب الجنة في قوله تعالى: "وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا"[58].

أما الثاني: في قوله تعالى " قَالَ لَهُ صَـــاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا"[59].

---

[57] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 2010 م، ص1043.

[58] سورة الكهف، الآية 34.

[59] سورة الكهف، الآية 37.

والثالث: ما جاء في سورة المجادلة من قوله تعالى " قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ "[60].

أما عن أقدم صور التواصل، والحوار، فقد حدثت قبل خلق الإنسان على وجه الأرض في قوله تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"[61]، كما شكل حوار الله مع الملائكة في أمره صورة من صور التواصل الفعال، خاصة بأن الخالق بجلالة قدره ليس بحاجة لمناقشة أحد في قراراته جل جلاله، وتحاور الملائكة معه ليس على وجه الاعتراض، وإنما بغرض الاستخبار وفهم الحكمة من ذلك[62].

وهذه إشارة هامة في كيفية التعامل مع الآخر عبر استكشافه، والتعرف عليه وعلى مقاصده، وفهمه دون أي تأثيرات جانبية أو تصورات سابقة، لذا اهتم الإسلام بغرس مبدأ الحوار، وخط منهجاً واضحاً لتحقيق الغايات المرادة منه لكن بعقل ومنطق، وذلك لأن أكثر الخلافات التي نشأت عبر التاريخ ترجع إلى التصورات السابقة، وغرسها مفاهيم الكراهية والظلم، وتعزيز السير وراء الأهواء الفردية المضرة بمصالح الآخرين دون تفكير، فيقول سبحانه وتعالى " كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

---

[60] سورة المجادلة، الآية 1، ويفسر القرطبي قصة خولة بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت إذ دل لفظ تحاوركما في القصة على تراجعهما في الكلام بين بعضهما البعض، راجع: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط1، 2006 م، ج 20، ص281–282.

[61] سورة البقرة، الآية 30.

[62] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت–لبنان، 1994 م، ج1، ص161–163.

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ"[63] فلو عرف الناس نتاج تعارفهم، وتواصلهم الحضاري البناء لتهافتوا على السير في الأرض، وتأملوا الإنسانية جمعاء.

وقد وردت ألفاظ أخرى ومعاني في القرآن الكريم مرتبطة بالحوار، وفي مجملها يستفاد منها في التفاعل والتواصل مع الآخر منها:

أ. المناظرة: مصدر "ناظر"، وفي القول ناظر فلان أي صار مقابلاً له وباحثه، وباراه في المحاجة، وكذلك تناظر تجادل وتحاجج[64] النظر صار مقابلاً لها، وباحثه وباراه، وقد جاء في قوله تعالى: " قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"[65] الموعظة هنا "لأجل الله من خلال الاجتماع اثنين اثنين، أو واحداً واحداً، فتنظرون، وتتحاورون، وتتفكرون في حال محمد صلى الله عليه وسلم" حسب تفسير البغوي.[66]

---

[63] سورة البقرة، الآية 213.

[64] المعجم الوسيط (مرجع سابق)، ص932.

[65] سورة سبأ، الآية 46.

[66] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة للنشر، الرياض–المملكة العربية السعودية، 1411هـ، ج6، ص405.

إذاً فالمناظرة في الاصطلاح هي المحاورة بين مختلفين سواء فريقين أو فردين من موالاة، ومعارضة رغبة منهما في الوصول إلى الحق، وتفنيد الباطل، ليظهر الصحيح منهم، وهو بذلك مشاركة في الفكر لعلم ما.[67]

ب. الجدل: تعبر عنه اللغة بالشدة في الخصومة، ويقال جادله أي ناقشه، وخاصمه[68]، بينما في الاصطلاح يعرفه الجويني بأنه تنازع بين شخصين يظهر كلاً منهما وجهة نظره، وآراءه سواء بالتدافع أو بالتنافي، والجدل هنا يرادف المناظرة[69].

وجاء في القرآن لفظ ومعنى الجدل متفرعاً إلى نوعين هما الجدل المذموم، والجدل المحمود، فما جاء عن الجدل المذموم قوله تعالى: " وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ"[70]، ويعني ذلك بأن الجدل المذموم مضيعة للوقت، ولا يهدف به للوصول إلى الحق بل الرد بالباطل، وإسقاط ما هو صحيح مع المماطلة في ذلك، بينما الجدل المحمود ما جاء في قوله تعالى: " وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"[71] يرادف الجدل المحمود الحوار، لكن بأسلوب حسن كما كان يفعل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[67] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، آداب البحث والمناظرة، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة–المملكة العربية السعودية، ص139، (د. ت).

[68] المعجم الوسيط (مرجع سابق)، ص 111.

[69] الجويني، ركن الدين أبي المعالي، الكافية في الجدل، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، 1979 م، ص30.

[70] سورة غافر، الآية 5.

[71] سورة النحل، الآية 125.

نستنتج مما سبق أن الإسلام قام على الحوار الحسن مثلما جاء في قوله تعالى " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" [72] وتوسع بين الأمم والشعوب، فدعا إلى الانفتاح عليهم، بالتعارف، والتحاور دون تمييز للغة، أو انتماء أو عرق، وأمر بالرحمة دون تعصب، لذا من المهم الاستناد على المنهج القرآني في التفاعل، والاستفادة من الحضارات الأخرى، وتبادل المنافع مع بعضهم البعض.

ومن المهم الإشارة إلى انطلاق دعوات حديثة لحوار الحضارات بالتحديد في القرن العشرين عندما "اقترح الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي للجمعية العامة للأمم المتحدة أن يكون عام 2001 عام حوار الحضارات، وقد وافقت اللجنة على ذلك"[73].

2) التفاعل الحضاري:

لقد قامت الحضارة الإسلامية استناداً على المنهج القرآني، فاقتبست وتبادلت العلوم وأنتجت الابتكارات النافعة بينها وبين الحضارات الأخرى، وحاولت أن تكمل ذاتها، وتكمل النقص لدى العديد من المجتمعات التي كانت جزءاً منها، وذلك ما يشهد به الكثير من المؤرخين والمفكرين على الرغم من محاولات إقصاء الحضارة الإسلامية، على النقيض شجع

---

[72] سورة آل عمران، الآية 64.

[73] للمزيد من المعلومات راجع: خاتمي، محمد، حوار الحضارات، ترجمة/ سرمد الطائي، دار الفكر، دمشق-سوريا، 2003 م.

الإسلام الاحتكاك بالآخرين من غير المسلمين، واستثمار خبراتهم لكن بضوابط تتوافق مع العقيدة بهدف النمو الحضاري[74].

روت السيدة عائشة رضي الله عنها قصة "استئجار النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الصديق رجلاً من بني الدّيلِ، هادياً خِرّيتاً وهو على دين كفار قريش" صحيح البخاري[75]، أي يعني تم الاستعانة بغير المسلم فيما يفقه من الأمور الدنيوية، ولا مانع في ذلك ما لم يتم المساس بالعقيدة، أو يخل بالضوابط الإسلامية.

وعلى المستوى التطبيقي عاش المسلمون مع المختلفين معهم في الدين والثقافة، وتعايشوا معهم، واستعانوا بهم سواء في حالات السلم أو الحرب، فعلى سبيل المثال ما جاء في نص وثيقة النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين واليهود، والتي تنص بموجبها على الالتزام بالحرية الدينية، وحماية الأعراض، والتعاون على العيش بالسلم فيما بينهم[76].

إن معرفة مفهوم التفاعل الحضاري بحسب التصور الإسلامي يرتبط بمعرفة استناد الإسلام على مبدأ هام وهو مبدأ التدافع الذي يعتبر سنة كونية خلقت في كل ما هو موجود حولنا حتى في أنفسنا كالتدافع بين الحق والباطل أو بين الليل والنهار أو حتى بين البشر، ويراد من التدافع بحسب الإسلام إحداث التوازن الكوني؛ أي أنه أمرٌ لا بد منه، فجاء في قوله

---

[74] يوسف، عبد الولي محمد، ضوابط التفاعل الحضاري وسائله وآثاره التربوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة–قطر، ط 1، 2014 م، ص42.

[75] صحيح البخاري، 2264.

[76] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت–لبنان، 1991 م، ج 3، ص225.

تعالى " وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَـهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَـدَتِ الأَرْضُ، وَلَـــكِنَّ اللهَ ذُو فَضْـلٍ عَلَى الْعَالَمِين"[77]

إذاً جاء التدافع بغرض نفع الإنسـانية ليخالف بذلك فكرة الصـراع في التصـور الغربي، وهو لا يمت للعدائية والخصـومة بصـلة، بدليل ما ورد في معنى آخر من قوله تعالى " ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ"[78] فمن هذا المبدأ نستنتج بأن التدافع هو النهج السليم الذي لابد أن يسير به العالم، فالعلاقات بين سلم، ومنافسة، وتسابق بين الرغبات والواقع، وبين الثقافات والمجتمعات من أجل تحقيق المسـاعي المرجوة بحسـب أهداف المتدافعين، لذلك هدف الإسـلام إلى إزالة الأحقاد حتى في التدافع بين الطرف والطرف الآخر، وكســـب المحبة عبر التقاء الأمم والحضارات ببعضها البعض لتستطيع تحقيق ذاتها، وتحقق التكامل الحضاري.

مما سبق يتحقق مفهوم التفاعل الحضـاري في التصـور الإسـلامي عن طريق السـلم والتدافع ناشدين بذلك التوازن الاجتماعي، وتحقيق الخير للإنسانية جمعاء، انطلاقاً من سنة وحدة الأصـل البشـري عبر التعرف على الآخر الإنسـاني بعيدين كل البعد عن الصـدام والصراع المعزز للكراهية، ومحاولين فهم حقيقة التصورات المختلفة عنهم من خلال الحوارات المتبادلة بين الأطراف، والسـعي للاسـتفادة من المعارف، والخبرات التي تمتلكها الأطراف؛ بحيث تتم عملية التبادل في أخذ ورد ما ينقص كل حضارة، وما يزيدها تقدماً، والتعاون على مواجهة الأخطار والتحديات التي تمس مستقبل الأطراف المشاركة في عملية التفاعل، وبذلك

---

[77] سورة البقرة، الآية 251.

[78] سورة فصلت، الآية 34.

يتحقق البناء المجتمعي، ويتوجه نحو الازدهار في مختلف المســتويات الأخلاقية، والعلمية، والاجتماعية، والنفســية، ويعد بذلك التصــور الأمثل والأصــلح، فلو اتبعنا التصــور الغربي لتدمرت الإنســانية، ولعاش الغرب وحدهم على هذا الكون إلى نهاية الحياة، ولا معنى حينها لحياتهم.

المطلب الثاني: أسس التفاعل الحضاري

في ضــوء الحديث عن التفاعل الحضــاري، ومعرفة تصــوراته من المنظور الغربي، والإســلامي، فإنه من المهم أن تعرف المجتمعات ما أســاس هذا التفاعل؟ حتى تســتطيع تحقيقه كما هو متوقع، فالأســس التي تنتســب للتفاعل الحضــاري تعد حافزاً فعالاً لتحقيقه، منها الأســاس الديني، والأســاس الاجتماعي، والأســاس العلمي، ولا نذكر هذه الأســس على سبيل الحصر، وإنما هي الأكثر شعلة في مجال التفاعل الحضاري.

- **أولاً: الأساس الديني**

سن الله الكثير من القوانين الكونية التي ارتبطت بفطرة الإنسان، وأصبحت عاملاً مهماً في حياته مكونةً فكره، وسلوكه الأخلاقي أبرزها قانون الدين الذي جاء في إطار تعبد المخلوق لخالق أو إله أعظم، ولم يخل المسار التاريخي من وجود الفكرة الدينية، بل لم تخل قبيلة، أو شعب أو مدينة من وجود إله أعظم تتم عبادته، والجدير بالذكر أنه رغم التحولات التي طالت تاريخ البشرية، ظل الدين من الثوابت التي لم يتخل عنها الإنسان سواء ظاهرياً أو روحياً.

ولعل تمسك الإنسان بهذه الفكرة كان سبباً رئيساً في اتصال العديد من الحضارات ببعضها البعض انطلاقاً من الأساس الديني، فمثلاً اتصال الحضارة الإغريقية بالحضارة المصرية القديمة اتصالاً وثيقاً من منتصف الألف الثانية قبل الميلاد[79] نتج عن هذا الاتصال عبادة آلهة تعبر عن تفاعل الإغريق والمصريين مع بعضهم البعض عبر عبادة إله مشترك وهو الإله "سيرابيس" صاحب الأصل المصري، والشكل الإغريقي[80]، وهذا يعبر عن أهمية الفكرة الدينية في نفوس البشر، والتي تعد عاملاً محفزاً في نشأة، وتفاعل الحضارات.

ومن جهةٍ أخرى حينما تنظر للحضارة الغربية في ذات السياق تجدها قد انبثقت من المسيحية[81] المتضمنة أيضاً لقيمة التعبد، وتعظيم الآلهة، مثلما ورد في الإصحاح الثامن من رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس "لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ."[82].

وكذلك الحضارة الإسلامية انبثقت من الدين الإسلامي، وكان الدين هنا سبباً رئيساً في اتصالها بالآخر رغبة في الدعوة إلى الله، كما جاء في قوله تعالى: ""ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

---

[79] حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2019 م، ج12، ص477.

[80] تشرني، ياروسلاف، الديانة المصرية القديمة، ترجمة/ أحمد قدري، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1996 م، ص191.

[81] بن نبي، مالك، شروط النهضة–مشكلات الحضارة، دار الفكر، دمشق–سوريا، 1986 م، ص63.

[82] رسالة بولس الرسول الأولى لأهل كورنثوس (8:6).

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَـنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَـلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" [83].

إذاً فقيمة التعبد عبرت عن جوهر العقيدة الدينية وأصبحت موجودة في الحضارات رغم اختلاف تطبيقها من حضارة لأخرى، ولكن المتفق عليه هنا أنها كانت سبباً فعلياً في اتصال مختلف الحضارات عبر عدة عوامل منها:

1) الاعتزاز بالدين والثبات عليه:

حرصت الأديان على نشر عقائدها، وهداية أكبر عدد من الناس لغايات مختلفة، وفي ظل انتشار العديد من الاختلافات الدينية بدا لكل أتباع دين بأن عقائدهم هي العقائد الحق، وما غيرها باطل، لذا حاولت بعض الأديان بكل ما استطاعت من جهد نشر عقائدها والتمسك بها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مما أدى إلى إرساء قيمة التفاعل بينها وبين الآخر.

وتتعزز قيمة التفاعل عبر وجود التعددية الدينية في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات، مما يمكن أن يوقع بعض الأفراد في حالة من الذوبان خصوصاً أنهم يواجهون ثقافات متباينة، وهنا تكمن أهمية التمسك بالدين في عملية التفاعل مع الأديان الأخرى.

فلنا في المسيحية البولسية مثال، حيث دعا أتباعها إلى عقائدها، بالأخص عقيدة التثليث التي تبنى على أن الألوهية متمثلة في ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس حسب

[83] سورة النحل، الآية 125.

زعمهم، كما تبنوا فكرة أن المسيح تجسد على هيئة بشر ليصلب فداء للبشرية نتيجة خطيئة سيدنا آدم[84]، على الرغم من الاضطراب العقدي الذي يعاني منه الشأن الداخلي المسيحي[85]، إلا أن أتباعه تمسكوا بالمسيحية، وهدفوا إلى السيطرة المسيحية العالمية عن طريق التنصير، والتفاعل مع الآخر معتمدين على عدة طرق في سبيل تحقيق غاياتهم[86].

ومجرد أن نذكر عقيدة التثليث، أو بعض الرموز التي تعبر عن المسيحية كدين، سنلاحظ بأن الدين في هذا الإطار يصبح بمثابة هوية للإنسان المنتمي له.

في نموذج آخر اهتم الإسلام بغرس جذور العقيدة في نفوس المسلمين، فقد ظل النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة مدة ثلاثة عشر سنة، ليوضح للناس العقيدة الصحيحة من خلال ما أوحي إليه، فورد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "بُعِثَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكُثَ بمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بالهِجْرَةِ فَهاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وماتَ وهو ابنُ ثَلاثٍ وسِتِّينَ" أخرجه البخاري[87].

ويرجع تمسك الناس بالإسلام من جميع النواحي؛ لما قدمه لهم من رحمة، وارتقاء، وإنقاذ من زمن الجهل، والاسترقاق أي أنقذهم من حالة الفساد والاستعباد، وعمل على غرس مبدأ المساواة في نفوسهم، وتبديد الظلمات عن مجتمعهم، فلم يفرق بين جنس وآخر، أو

---

[84] شلبي، أحمد، المسيحية مقارنة الأديان، مكتبة النهضة، القاهرة، ط 10، 1998 م، 131.

[85] المرجع نفسه 253-254.

[86] البساطي، أحمد سعد الدين، التبشير وأثره في البلاد العربية الإسلامية، دار أبو المجد، مصر، 1989 م، 3-4.

[87] صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة، حديث 3689.

ثقافة وأخرى. لقد قام على تحقيق العدل والقيم الكريمة، بالإضـــافة إلى التعامل بالأخلاق الحميدة، فالجدير بالذكر أن الإسـلام عمل على تحقيق ذلك مع المسـلمين وغير المسـلمين، لذا كان التمسـك بالعقيدة وقيمها سـبباً رئيسـياً لانتشـار الإسـلام في شـتى الأقطار والتفاعل معه.

2) نشر الدين والدعوة إليه:

ارتبطت الدعوة ببعض الأديان منذ بدء ظهورها على وجه الأرض ارتباطاً تلازمياً، ويعني ذلك أن الاعتزاز بالدين لأي فرد وتمســـكه بعقيدته يحتم عليه الدعوة إلى تعاليمه، وقيمه، ومبادئه، فكان ذلك جانباً فعالاً للوصـــول إلى التفاعل الحضـــاري بين كثير من الأطراف، وفي ذات السياق عُرِف عن الإسـلام والمسـيحية أنهم دائماً ما يلتقون في مختلف مناطق العالم، بالإضافة إلى سعيهم وراء استثمار العديد من الوسائل لنشر دينهم.

فاهتمت المسيحية بإنشاء المستشفيات، والمدارس، والمعاهد، ودار المسنين، والكنائس للاجئين بهدف تنصـيرهم، وإرسـال حملات دعائية باسـم المسـيحية، لجذب أكبر عدد من المسلمين لها عن طريق الجمعيات كـ "جمعية المتطوعين للتبشير في البلاد الأجنبية"[88].

وفي مشهدٍ آخر استخدمت الرسائل بين المسلمين والمسيحيين كرسالة محمد صلى الله عليه وسـلم إلى المقوقس ملك مصـر والإسـكندرية يدعوه فيها إلى الإسـلام [89]، وبناءً على

---

[88] البساطي، أحمد سعد الدين، التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية (مرجع سابق)، ص27.

[89] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدى خير العباد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1953 م، ج3، ص128، وتنص الرسالة على " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِن مُحَمَّدٍ عبدِ اللَّهِ ورَسولِهِ إلى المقوقس عظيم القبط: سَلَامٌ علَى

نص رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تمت الإشارة إلى جزء مهم يرتبط بالإنسانية يتمثل في التعاون حول نقاط التلاقي بين الأطراف، والتفاعل على المصلحة المشتركة في سلام يخلو من العدائية.

ويتضح أن التفاعل بين الطرفين لم يحمل الدعوات الزائفة للصدام، أو حتى الصراع حسب التصور الغربي، على الرغم من عدم تأكيد صحة ما ورد من رد نصي من قبل المقوقس، إلا أن كتابة وقبول الرسائل يعد نوعاً من التفاعل بين مختلف الأديان، والحضارات.

فالتفاعل الحضاري الذي قادنا له الأساس الديني بمفهوم عميق يحمل بالفعل معنى التعرف على الآخر، وفهمه كما يريد، والتخلي عن تصلب الأفكار، أو الأحكام المسبقة، كما أن التفاعل مبني على التفاهم بين الأطراف، والأخذ والرد بتكافؤ دون استعلاء طرف على طرف، ومحاولة التقرب للطرف الآخر وتقديره ليعبر بذلك عن قيمة التسامح في أبهى صورها.

من جهةٍ أخرى وجد التفاعل أيضاً في الحوارات، والمناظرات الفردية التي تدور حول المحور الديني كالمناظرة التي وردت عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه قائلاً بأنه حينما "دخل على المقوقس النصراني ملك الإسكندرية رسولاً من رسول الله يدعوه للإسلام

مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أمَّا بَعْدُ، فإنِّي أدْعُوكَ بدِعَايَةِ الإسْلَامِ، أسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنَّ عَلَيْكَ إثْمَ أهل القبط ويَا أهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بيْنَنَا وبيْنَكُمْ أنْ لا نَعْبُدَ إلَّا اللَّهَ ولَا نُشْرِكَ به شيئًا ولَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فإنْ تَوَلَّوْا فَقُولوا اشْهَدُوا بأنَّا مُسْلِمُونَ".

بكتاب النبي، ســـأله المقوقس حينها عن الحرب التي بين النبي وبين قومه، فأخبره بأن بينهم ســـجال، فقال المقوقس مخاطباً ابن بلتعة " أنبي الله يغلب؟" فرد عليه قائلاً: "أولد الله يصلب؟"[90].

بهذه الحالة انطلق التفاعل الحضاري من عنصر الأساس الديني شاملاً بذلك عقولاً متباينة، وثقافات مختلفة تدعونا للتعرف عليها، باستخدام أساليب متنوعة في التواصل معها، والإيمان بأن هذا الكون لا يضـم ثقافةً واحدة، أو فكراً محدداً، وبناءً على هذا الأســاس كان التفاعل الحضـــاري بمثابة الرابط الوثيق لتلك التعددية الدينية الموجودة في الواقع، وعلاوة على ذلك كان الأســـاس الديني شـــرارة التفاعل بين الأطراف، مما أدى إلى إنتاج الحروب الصـــليبية، والفتوحات الإســـلامية، ودعوات الحوار في اللقاءات، والمؤتمرات الدينية العلمية العالمية مؤكدين على الأساس الديني للتفاعل الحضاري، وأن كلاهما سنداً ومنتجاً للآخر.

- **ثانياً: الأساس الاجتماعي**

تتســـم مجتمعاتنا بتعدد الأعراق، والأجناس، والقبائل، والثقافات حتى بات هذا التنوع موجوداً في فضـــاء واحد مشـــترك، رغم اختلاف عاداته وتقاليده ولغته؛ مما يمكن أن يخلق حالة من التفاعل، والتجدد بين مختلف الناس، ولكن في معظم الحالات يعد هذا الاختلاف المجتمعي معوقاً لدى البعض، فلا يســـتطيع التعايش معه باختلاف حالاته، فالانتماءات المختلفة التي تعبر عن المجموعات أياً كانت؛ قبلية أو وطنية، أو دينية؛ هي جزء هام

---

[90] السكوني، أبو علي عمر، عيون المناظرات، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1976 م، ص185.

ترتكز عليه الحضارة عند تفاعلها مع الآخر خصوصاً أنها تصنع حالة من التفاعل الداخلي عبر التحالفات والنزاعات، وتبادل الخبرات بينها وبين الآخر، لما له تأثير أيضـــاً على التفاعل الخارجي، ونشير إلى بعضٍ منها:

1) الانتماء القبلي:

تقوم طبيعة الإنسـان على حاجته إلى الانتماء سـواء كان ذلك الانتماء إلى جماعة، أو قبيلة، أو عرق، أو ثقافة ما، وقد عرف التاريخ الجماعات القبلية، والعرقية التي شكلت دويلة صـــغيرة بينها وبين أبنائها داخل مجتمع أكبر، فجمعتهم أواصـــر الدم، والعادات، والتقاليد، والظواهر الاجتماعية، لذا شـــكلوا بذلك مجموعة واحدة يمكن لها أن تكون ســـبباً في بناء الحضـارة أو هدمها عن طريق التعصـب، خاصـة بأن هذه المجموعات تشكل جزءاً مهماً لا يمكن فصله عن النظام الاجتماعي.

وتصـف إحدى الدراسات نظرية العصـبية لابن خلدون بأنها عبارة عن قوة بين منتسبي أبنـاء القبيلـة أو العرق الواحـد، منهـا قوة الـدم المشـــترك التي تحرك كـل ميـادين الحيـاة الاجتماعية، فتمثل الجوهر الأولي الذي تقوم عليه الدولة[91].

[91] الحبابي، محمد عزيز، الدينامية المحركة للتاريخ عند ابن خلدون، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1983 م، ع 56، ص41، نشر في دار المنظومة.

وبما أن العصـــبية يمكن أن تخلق النزاعات الداخلية كان الملوك والســـلاطين يحاولون ربح القبائل في صفوفهم خوفاً على السلطة والدولة، فقد حاول ابن السلطان يعقوب المريني عام 666هـ ضم قبائل بني جابر له عبر إشراكهم في الجهاد إلى الأندلس[92].

وذلك للدور الذي يمكن أن تقدمه القبائل في زعزعة أمن، واســـتقرار المجتمعات إن لم تكن متفقة مع المجتمع الأكبر، وإن لم تكن راضـية لن تتفاعل وتتعايش وتنتج مع مجتمعها، فمثلما وضـحنا أن الفرد ينتمي لجماعة من ضـمن مجتمع أكبر مكون للحضـارة، ومن الذكاء دمجهم في أنظمة المجتمع ليتفاعلوا معه في جميع المجالات.

2) الانتماء الوطني:

يعبر الانتمـاء الوطني عن هويـة الفرد في كـل مجتمع من خلال نظمـه، ومظـاهره، ومناسـباته، وطرز عمرانه، وصـناعاته، وبيئته[93]، فهو المأوى الذي حاول العديد من البشـر الحفاظ عليه رغم كافة الظروف التي واجهتهم، فالمقصـــد بأنه احتوى على الانتماءات الصـــغرى، والأقليات بأشـــكالها التي وإن اختلفت فيما بينها ظلت حريصـــة على انتمائها، وهويتها الوطنية.

ففي عام 640 م فتح عمرو بن العاص مصر، وتعاون معه المسيحيون ضد الأباطرة الرومان لحماية أراضـيهم ومعيشـتهم، فسـاعدوهم عند دخول الإسـكندرية ببناء الجسـور، والأسـواق لهم، وكانوا عوناً للمسـلمين في كل احتياجاتهم، مما كان له أثر سـلبي في نفوس

---

[92] الناصري، أبو العباس بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء–المغرب، 1955 م، ج 3، ص60.

[93] منصور، حسن، الانتماء والاغتراب، دار أمواج، بيروت–لبنان، 2014 م، ص39–40.

الرومان[94]، ويأتي ذلك التفاعل بين المسلمين، والمسيحيين المصريين للحفاظ على الهوية التي شتت، والوطن الذي تم استغلال خيراته.

كما تجلى الانتماء الوطني في أبهى صوره عام 1919 م أثناء الثورة المصرية التي أقيمت اعتراضاً على الاحتلال البريطاني، فقد اتحد المسلمون، والمسيحيون آنذاك في سبيل الحفاظ على الوطن عبر ثورة 1919، والتي كان شعارها "يحيا الهلال مع الصليب"، فكان رجال الدين يعتلون منابر "الأزهر" للخطبة فيه، وكذلك خطب شيوخ المسلمين في الكنائس، ورفع حينها الهلال مع الصليب[95]، ليكون بذلك التفاعل بين الطرفين نابعاً من الروح الوطنية التي جمعتهم.

ويتبين أن الانتماء الوطني قوة فعالة، وركيزة أساسية في صنع التفاعل بين مختلف الثقافات، والأديان على الصعيد الاجتماعي انطلاقاً منه، والذي بدوره يعد رابطاً وثيقاً في التفاعل بين الطرف والآخر.

3) الانتماء الحضاري:

يشكل الانتماء الحضاري صورة أشمل للانتماءات السابقة، فالحديث هنا عن أمة بأكملها، أمة تمتلك تاريخ وخصائص، وميزات، وثقافة، يحاول الفرد المنتمي لها الحفاظ عليها خوفاً من أي اندثار أو طمس يمكن أن ينال منها، بل إنه يحاول أن يتعلم من الآخر

---

[94] زيدان، جرجي، تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن، مطبعة الهلال، مصر، ط2، 1911 م، ج 1، ص76، 86.

[95] للمزيد من المعلومات راجع: البشري، طارق، المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980 م، ص135-137.

بهدف بنائها، ويشبه محمد عمارة الانتماء الحضاري "كالنسب بالنسبة للأفراد"[96] فإذا اختلط نسب الفرد أصبح لقيطاً أو بالأصح يصعب تحديد هويته، كذلك الحضارة حينما تنصهر في الأخرى تفقد كل ما يعرّف بها، إن الانتماء لأي حضارة هو الأصل الثابت الذي ينطلق منه الفرد ليتفاعل به مع غيره من الحضارات.

ونرى ذلك في الحضارة الإسلامية حينما انفتحت على الحضارة اليونانية وثقافتها، فاقتبست نظمها، وأهملت فلسفات وعقائد اليونان التي يمكن أن تمس بعقيدة الحضارة الإسلامية محافظةً بذلك على الهوية الدينية والحضارية، ولا يمكن سوى الإشادة بأن المسلمون كانوا سبباً في انتشار الحضارة اليونانية على نطاق أوسع[97].

نستنتج مما سبق أن الانتماء الحضاري يمثل المرجعية الرئيسة التي يستند عليها الفرد حينما يتعارف، ويتواصل مع الآخر بغية ارتقاء مجتمعه الذي يضم الانتماءات العرقية، والقبلية، والثقافية، والدينية بمختلف مستوياتها وجميعها تتفاعل في المظاهر الحضارية الاجتماعية المشتركة.

- **ثالثاً: الأساس العلمي**

برز الأساس العلمي كركيزة من الركائز في مجال التفاعل الحضاري، فقد كان حلقة الوصل بين مختلف الشعوب التي كانت تطمح للرقي الحضاري، فلطالما ساهمت في منفعة

---

[96] عمارة، محمد، الانتماء الحضاري للغرب؟ أم للإسلام؟، دار نهضة مصر، مصر، ط1، 2009م، ص3.

[97] راجع: معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، مطبعة التضامن، بغداد–العراق، ط 2، 1969م، ص402–406.

الإنسانية عبر علومها، واكتشافاتها كالحضارة الصينية، والفارسية، واليونانية، والمصرية القديمة، كذلك الحضارة الإسلامية.

حاولت تلك الحضارات أن تبحث عن حسن المعيشة من خلال تطوير ذاتها في العلوم، والسير نحو ما كان ينقصها ويكملها حتى لو كان ذلك موجوداً لدى عدوها، وعلى غرار ذلك تعاملت الحضارة الغربية مع الحضارة الإسلامية، فقد اعتبرتها المعلم، والعدو في آن واحد، حيث أنها قامت بأخذ العلوم منها أثناء تقدمها، وحاربتها أثناء توسعها في شتى المناطق؛ مما نتج عن ذلك "تعايش وتبادل محتوم"[98] في عدة مجالات تحديداً في المجال العلمي من خلال المدارس، والمعاهد، والرحلات العلمية رغبةً في التعايش مع المسلمين لتعلم علومهم، والاستفادة منهم مباشرةً.

1) الاهتمام بالعلم والتعلم:

إن نهوض أي حضارة يبدأ بنهوض التعليم لديها، فإن أرادت أن تتقدم الحضارات لابد من الاهتمام بتعليم مجتمعها، لذا كانت الحضارة الإسلامية من الحضارات الحريصة على العلم والتعلم[99]، فنال العلم والمتعلم مكانة عالية في الدين الإسلامي، وربطت قيمتهما بقيمة التعبد، مثلما جاء في قوله تعالى: " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"[100].

---

[98] سيلاجيتش، عدنان، مفهوم أوروبا المسيحية للإسلام، ترجمة/ جمال الدين سيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2016 م، ص51-54.

[99] الغمراوي، محمد أحمد، الإسلام في عصر العلم، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1972 م، ص29.

[100] سورة المجادلة، الآية 11.

وبناءً على ذلك اهتم المسلمون بتعلم العلوم كالطب، والفلسفة، والمنطق، حينها قاموا باقتباسها من الحضارات السابقة مثل الحضارة اليونانية، وأعادوا صياغتها فيما يتناسب مع المعايير الإسلامية، ولا بد من الإشارة بأنهم لم يكونوا مجرد متعلمين وناقلين من الشعوب الأخرى، إنما أضافوا إضافات علمية جديدة أثمر عنها ظهور العلماء الذين أفادوا الحضارات الأخرى كالغزالي، وابن سينا، وابن رشد[101].

على الصعيد الآخر نرى معاناة الحضارة الغربية في الوصول للعلم، بالرغم من حث نصوصها عليه، فورد في سفر الأمثال "إلى متى أيها الجهال تحبون الجهل، والمستهزئون يسرون بالاستهزاء، والحمقى يبغضون العلم "[102]، ومع ذلك عاشت فترات طويلة في جهل واستبداد تحت حكم النظام الكنسي الذي جعل العلم حكراً عليه، وسعى وراء محاربة العلوم الجديدة، والعلماء أبرزهم فرانسيس بيكون الذي دعا للمنهج التجريبي، وعانى من توجيه أبشع الاتهامات، والأحكام ضده حتى نفي[103]؛ مما أدى فيما بعد إلى انتشار الجهل، والفساد بجميع أرجاء أوروبا.

إن أبرز دليل على أن الحضارات تنهض ببعضها البعض هو خروج الحضارة الغربية من قعر جهلها حينما اطلعت على الآخر وتعلمت منه، يذكر غوستاف لوبون Gustave Le Bon في كتاب حضارة العرب إن " الشعلة التي مهدت طريق العلم لأوروبا تمثلت في

---

[101] الغمراوي، محمد أحمد، الإسلام في عصر العلم، (مرجع سابق) ص35-36.

[102] سفر الأمثال 22:1.

[103] عجيبة، أحمد علي، البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، مطابع الشناوي، طنطا-مصر، ط 1، 1991 م، ص45-47.

الحضـــارة العربية التي أنقذت أوروبا من الجهل عن طريق الكتب العلمية، والترجمات التي وصلت لأوروبا" [104]، وفي قولٍ مؤيد آخر لمسيو ليبري " لولا ظهور العرب على وجه التاريخ لتأخر قيام أوروبا ونهضتها عدة قرون" [105]، فغدت الفتوحات الإسلامية فتوحات لنيل الثقافة والعلم بالنسبة للغرب، وهذا له أهمية كبرى في تعزيز التفاعل الحضاري، كما أن العلم عامل هام في التخلص من كل ما يودي بحياة المجتمعات.

2) الرحلات العلمية:

ولد التفاعل الحضاري الوسائل المستثمرة في بناء الحضارات، فكان أدب الرحلات العلمية ضمن أهم هذه الوسائل، كونه احتوى على الاندماج، والتعايش مع أصحاب العلوم، فقبل تعلم العلم هدف ذلك الاندماج إلى تعلم لغة أصحاب العلوم لتؤهل طالب العلم لاكتساب العلم بسهولة فيما بعد، فكان ملوك أوروبا يرسلون أبناءهم لبلاد المسلمين لدراسة العلوم فيها، ومن ثم نقلها للغرب كالبعثة العلمية الفرنسية التي ترأستها الأميرة اليزابيث[106]، كما كان هناك العديد من أصحاب المناصب المسيحية الذين ذهبوا للبلاد التي وجد فيها المسلمون لتعلم لغتهم وعلومهم أبرزهم البابا سلفستر الثاني الذي درس في قرطبة[107].

---

[104] لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة/ عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2012 م، ص25.

[105] المرجع نفسه، ص25.

[106] البشري، سعد بن عبد الله، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض–المملكة العربية السعودية، ط1، 1993 م، ص533.

[107] البتنوني، محمد لبيب، رحلة الأندلس، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 2012 م، ص124.

ويتضح أثر الرحلات العلمية حقيقة في تأثر الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية، فقد ساهمت في تنشيط حركة الثقافة، والعلم لدى الحضارتين، ومن الجانب المسيحي اهتم المسيحيون بالأدب، وتعلموا اللغة العربية حباً في العلوم الأدبية مثل القصائد الشعرية، والقصص والروايات[108].

وعليه زادت الرحلات العلمية من فضول عمق التواصل، والتلاقي بين الحضارات، والتعرف على الحضارة من مصدرها الأصلي مباشرةً، لذلك تكمن أهمية هذه الوسيلة في الإثراء المعرفي الفكري، والذي بدوره يساهم في زيادة فرص الإبداع، والابتكار الحضاري.

3) الترجمة العلمية:

لم تنشأ وتنقل العلوم من تلقاء نفسها، وإنما يرجع الفضل للوسيلة الوسيطة التي استعانت بها الحضارات وهي "الترجمة"، مثلت هذه الأداة الرابط الوثيق في التواصل الحضاري بين شتى الحضارات، فلم يقتصر دورها على نقل الكلام من لغة إلى أخرى، وإنما فتحت آفاقاً للتواصل مع الآخر، وتوظيف مهاراته في ابتكار العلوم من خلال اللقاءات التي جمعت مختلف العقول لنقل المواد العلمية.

وشهدت فاعلية أداة الترجمة أثناء ربوع نهضة المسلمين الذين اهتموا بالاطلاع على علوم الحضارات الأخرى، وتعزيز ذلك من خلال إنشائها المدارس والمراكز العلمية والفلسفية

---

108 Alvaro, paul, Indiculus Luminosus in Christian-Muslim Relations, 2010, p:115

كالإسكندرية، وجنديسابور[109]، ويذكر بأن الأمير خالد بن يزيد أول من اهتم بعلوم الإغريق، وأمر بترجمة كتبهم العلمية مثل علوم الكيمياء، وعلوم الفلك، والطب طلباً في العلم [110].

لذلك نرى آثار الحضـــارات مثل الحضـــارة اليونانية، والهندية، والحضـــارات القديمة في الحضــارة الإســلامية، بينما من جانب آخر نلاحظ حضــور الحضــارة الإســلامية في الحضــارة الغربية، فاهتمام الحضـــارة الإســـلامية بنقل العلوم وترجمتها جعلها حلقة وصـــل في نقل العلوم للغرب.

ومن خلال قراءة بعض من المصادر التاريخية يتبين أن حركات الترجمة أفادت التواصل الحضــاري الإنســاني، ولعل ما شــهده هذا العصــر من تعايش وتعاون بهدف إثراء الحركة المعرفية، ساهم في تشجيع الكثيرين على إثراء العلم بإضافات جديدة فيما بعد، فبرز العديد من العلماء الذين استعان بهم الغرب منهم الغزالي "فديكارت قد استفاد منه في أسلوب الشك المنهجي عبر كتاب المنقذ من الضلال، وذلك ما يوضحه كتابه مقال في المنهج"[111]، ويؤكد ذلك عدنان سيلاجيتش في كتابه مفهوم أوروبا المسيحية للإسلام ص52.

---

[109] علي، عصام الدين، بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1986 م، ص29، وللمزيد من المعلومات راجع: معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية (مرجع سابق)، ص417-419.

[110] ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1997 م، ص338.

[111] See: Descartes, Rene, A Discourse on method and meditations on first philosophy, Translated by: Donald, A. cress, by Hackett publishing company, United states of America, fourth edition, 1998.

لهذا عبرت الترجمة العلمية عن خط تواصل غير مباشر أثمر تفاعلاً حضارياً حقيقياً بين الأمم، كون كل تلك الأعراق، والاختلافات الدينية المتنوعة ساهمت في نقل علوم الحضارات السابقة، وقدمت خبراتها في سبيل إثراء الحضارة الإنسانية، وهذا دليل بحد ذاته على أن الأمم لا تستطيع أن تنعزل أو تتفوق بمفردها، بل لابد من أن تتفاعل مع بعضها البعض، وتتبادل الخبرات حتى تتكامل، فالترجمة جزء صغير من مسيرة التفاعل الحضاري التي مرت بها الأمم السابقة، ولا شك بأن ما يميزها هو وجود التفاعل الحضاري بين حضارات شتى، منها الحضارات السابقة، ومنها الحضارات التي واكبت بعضها البعض، مما ينتج عنه تلاقح العقول، واندماج الأعراق، والحضارات من أصحاب الخبرات، واللغات المختلفة، وهو بحد ذاته جوهر التفاعل مع الآخر.

المطلب الثالث: قيم التفاعل الحضاري

في مسيرة الحضارات نحو الارتقاء، والتقدم، كان ولا بد من وجود قيم تساندها على التواصل، والتفاعل مع الآخر دون المساس بهويتها أو مكانتها الحضارية التي تمتاز بها كل حضارة عن الأخرى؛ للحد من الصدام، والصراعات حسب ما أشار له بعض المنظرين في هذا المجال، ولنكون أدق إن النظريات الغربية التي أشرنا لها سابقاً خلت تماماً من القيم الحضارية التي تعزز من رباط التفاعل الحضاري كالعدل، والمشاركة، والحرية، والتسامح.

- **أولاً: العدل**

إن العدل في وجهة نظر الأهدل ينشأ حينما تُبث الطمأنينة في نفس الفرد، وذلك لأن مجتمعه ينشأ على روح المساواة، والعدل، لما في ذلك من تقنين للفساد، والنوايا الخبيثة، والمصالح التي تضر بالمجتمع، وعلى صعيد ذلك تأتي مشاركة الإنسان في نهضة

حضـــــارته، وتفاعله مع الآخر حين تتحقق تلك القيمة، ولا تســـتقيم حياة المجتمعات إلا بالعدل، حينها يأمن الناس على أنفسهم، وأموالهم في ظل مجتمعاتهم[112].

وعلى الرغم من اختلاف درجة أهمية تلك القيمة بين الحضـــارات، مع هذا لم تخل من وجودها سـواء على المسـتوى التنظيري، أو حتى على المسـتوى التطبيقي، إذ أنها أصـبحت مطلباً فطرياً لدى الناس تزداد رغبتهم فيه مع الوقت، ونســتدل بذلك على شــعب الحضــارة المصرية القديمة الذي سعى وراء تحقيق قيمة العدل من خلال تصوراته العقدية عبر النقوش والآثار على جدران المعابد والمقابر[113]، فأنشأ حضارة كاملة تعبر عن قيمة العدل.

ومن طرفٍ آخر دعت الحضارة الإسلامية انطلاقاً من المنهج القرآني إلى تأصيل قيمة العدل في نفوس المســلمين، واتخاذها منهجاً لحياتهم، كما شــدد القرآن على عدم الغفلة عن تلك القيمـة، في قولـه تعـالى: " أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ " [114]، وقد أوردها في عدة مواقف مختلفة منها حكم الحاكم على الناس، وكذلك الحكم بين الناس، مثلما جاء في سورة النساء: "" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا "[115].

---

[112] الأهدل، هاشم بن علي أحمد، أصول التربية الحضارية، رسالة دكتوراه-جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض-المملكة العربية السعودية، 2007 م، ص302-303.

[113] كمال، محرم، الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 2، 1998م، ص10، ورد نص نقش على تلك الجدران يبين أهمية تلك القيمة لديهم يندرج تحت أقوال بتاح يقول فيه "حصل الأخلاق، وارع الحق، واعمل على نشر العدالة، وعامل الجميع بصدق".

[114] سورة الرحمن، الآية 8.

[115] سورة النساء، الآية 58.

ونبه الإسلام على تحقيق العدل بصورة شاملة، فالأحقاد، والضغائن التي يكنها الفرد أو المجتمع ضد فرد بعينه، أو قبيلة، أو مجتمع، أو ديانة، أو حتى حضارة لا يولد له الحق في أن يسلب حقوقهم، ويجور فيها، بل العدل هنا يعني إدراكه، وتنفيذه حتى لو كان ذلك على حساب نفسك، فأوصى الله به قائلاً: "" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"[116].

غير أن عدم تحقيق العدل يسهم في تفاقم حالات الظلم، والفساد، والعدائية التي تصيب المجتمعات ضد الآخر كما حدث مع الحضارة الغربية خلال فترة القرون الوسطى، لما عانته من قهر، وقمع[117]، مع أن نصوصها الدينية قد أوصت بالعدل، إذ ورد في سفر التثنية: "الْعَدْلَ الْعَدْلَ تَتَّبِعُ، لِكَيْ تَحْيَا وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ."[118].

ويدل ذلك على أن هناك مجتمعات أشادت بالعدل على المستوى النظري، لكن لم تستطع تطبيقه، لكثرة الأطماع الفردية، ويجب على كل حضارة أن تستفيد من الحضارات التي سبقتها وخلت من تلك القيمة، فكان مصيرها تأخر نموها، وسقوطها حضارياً.

إذاً يتضح أن قيمة العدل لها دور في تشييد الحضارة أو غيابها، فبها يتحفز المجتمع على التفاعل مع الآخر إذا قام بتحقيقها عبر:

---

[116] سورة المائدة، الآية 8.

[117] عجيبة، أحمد علي، البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى (مرجع سابق)، ص34-37 بتصرف.

[118] سفر التثنية: 20:16.

- عدم إنكار وجود الحضـــارات الأخرى، وعدم إنكار مســـاهماتها مما يعزز من اللقاءات التفاعلية، ويسهم في البناء الحضاري الإنساني.
- إعطاء كل صاحب حق حقه مما يحفزه على المشاركة، والإبداع الحضاري.
- العدل يقوي من روابط التواصل بين المجتمعات، مما يؤثر في رفع درجة الطمأنينة، والأمن، والأمان عند التعامل مع الآخر.
- العدل يحد من الكراهية، والعدائية ضـــد الآخر، وذلك لاعتراف الأطراف بحقوق بعضـــهم البعض، والتزامهم بها.

- **ثانياً: التسامح**

أصبح التسامح في التلاقح والتواصل الحضاري ضرورة هامة في الحفاظ على سير اللقاءات بين الأطراف، وذلك لأن التعصب تجاه الأفكار أو الاختلافات يسبب حالات من الصـــدام، وتكريس الأحقاد تجاه الأفراد أو الجماعات، أي أنه يبعدنا عن فكرة التفاعل الحضـاري البناء، فالتسـامح المقصـود يتمثل في السـلوك العملي الذي يرتقي للتسـاهل، والتعامل دون تشدد.

ويعبر عن ذلك وصف التسامح في الرؤى الفكرية الذي يراد به السماح للآخرين بالحديث عن أفكارهم، واختلافاتهم، وآرائهم حتى ولو لم تكن تؤمن بها، فليس كل ما يسمعه الشخص، يحتم عليه التصـديق به، لأن السـماح بسـماع الأطراف دلالة على رحابة الصـدر والتقدير للآخرين، ولا يعني أن الاحترام والتقدير يلازمه الإيمان بتوجهات الأطراف الأخرى، أو

التخلي عن المعتقدات، والهوية الدينية، أو الفكرية أو حتى فرض الآراء على الآخرين، على العكس تماماً فقيمة التسامح مجردة من الإكراه الذي يودي للصراع مع الآخر[119].

إذاً فهي جزء رئيس من عملية التفاعل الحضاري، لكن كيف يمكن أن نؤمن بالتفاعل مع الآخر دون أن نسمح له بالتعبير عن أفكاره، أو مشاركة خبراته نظراً لتمسكنا بفكرة ما؟ هنا يتشكل عائق التفاعل بين المجتمعات، فأحد أهم أسباب عدم وجود قيمة التسامح يرجع بأن أتباع دين ما أو ثقافة معينة يعتقدون أن رأيهم، ومعتقدهم هو الحق، ويحاولون إكراه الآخر على اتباعهم، بل يلزمونه على معتقدهم أو نموذجهم الثقافي، وقد وضعت هذه الفكرة بطريقة غير مباشرة في بعض دعوات الحوار عبر الندوات والمؤتمرات واللجان من منطلق إرساء التسامح إلا أنه قد تخللها التعصب.

ومثال على ذلك موقف مجلس الكنائس العالمية من المسلمين، والذي تشكل في إنشاء لجنة فرعية للحوار والتعايش بين الأديان الحية، ويقوم دورها على تسليط الضوء في كيفية تعامل المسيحيين والمسلمين مع بعضهم البعض، مصدرةً بذلك عدة بيانات، ودليل يشرح للمسيحيين طريقة التعامل مع المسلمين، ومن خلال ما ورد في الدليل [120] نجد أن المسيحية البولسية قد اتخذت مسار الحوار للعمل على التنصير الخفي، مروجة لقيمة التسامح في الظاهر دون تحقيقها.

---

[119] صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982 م، ج1،ص41،48،49.

[120] See: Denffer, Ahmad von, Dialogue Between Christians and Muslims, The Islamic foundation, 1980, p:1-16.

وذلك ما يرفضه التسامح شكلاً ومضموناً، فهو تقبل واعتراف بالآخر قبل أن يكون مسمى، وتعامل دون ذوبان أو إزالة للخصائص التي تميز الحضارات، فلا بد من إدراك أن دعوات التسامح ليست مبرراً لتمييع العقائد أو التنازل عما هو مسلم به، ولا يسمح بتقديم السلوكيات اللاأخلاقية وقبولها تحت مسمى التسامح.

من زاوية أخرى لا تتخلف الأديان في نصوصها عن غرس قيمة التسامح، كما أوضحت مقاصدها في الرؤى الفكرية خاصة المسيحية والإسلام، فأشير هنا إلى أبرز النصوص الإنجيلية التي نصت على ذلك:

1. نص موعظة الجبل في الإصحاح الخامس: "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ. طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ. طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ"[121]، من مبدأ الرحمة والسلام عُزز لقيمة التسامح، كون أن التسامح يهدف للسلام بين الأطراف.

2. " «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ،

[121] إنجيل متى 5: 3-11.

لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّـمَاوَاتِ"[122] ويوصـي النص بالتسـامح مع الأحباء، والأعداء لنيل رضـا الإله، وبناءً على ما ورد من نصـوص، فإن التسـامح يحيلنا إلى قيم فرعية نبيلة تندرج منه، وتؤصـل الحقيقة المعنية بآلية التفاعل الحضـاري السـلمي، ومع تأكيد الأديان على التأسـيس لتلك القيمة، نجد أن ذلك يعزز من التفاعل عبر التوجه المشترك في إرساء التسامح.

فمن جانب الإسـلام صـور كنموذج متميز للتسـامح بالتحديد في تعايش أهل الأديان، والأعراق المختلفة في كنفه، وترجع آلية المسـلمين في التعايش مع الآخر إلى تطبيق المنهج القرآني، على الرغم من عدم ورود لفظ التسـامح في القرآن، إلا أنه وردت ألفاظ تدرج تحت معنى التسامح وتقاربه منها:

1. الإحسـان في قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَـانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"[123]، يعبر الإحسـان عن الفعل الطيب المقابل للإسـاءة، ومع كثرة المختلفين يمكن أن يقع الفرد في سـوء القول أو الفعل، وما ينقذ التفاعل بينهما هو إرسـاء مبدأ الإحسـان، لما فيه من تعبير عن مكارم الأخلاق.

---

*كما لخص لوكلير، جوزيف، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ترجمة/ جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، ط 1، 2009 م، ص 37 بعض القيم التي تروج لها المسيحية البولسية.

[122] إنجيل متى 5: 43-45.

[123] سورة النحل، الآية 95.

2. الصـــفح في قوله تعالى " وَمَا خَلَقْنَا السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ"[124] وصية الخالق بالصفح في سبيل التجرد عن كل صراع من قبل الجاهلين، وأفضل الأفعال هو الرحمة والتسامح مع الإعراض عنهم، ويكمل ذلك لفظ العفو الوارد في قوله تعالى: " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"[125].

3. نفي الإكراه في قوله تعالى " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ"[126]، والإكراه يضـــاد التســـامح، فلا فرض لتوجه أو دين أو فكر معين على الآخر يوصل إلى التفاعل الحضاري المراد، ويتبين بأن المعاني السابقة تدل على رحمة الإسلام بالآخر وسماحته المقوية للروابط بين المجتمعات، والحاجبة لروح التعصـــب والبغضـــاء، ويشـــير يعقوب نخلة إلى أن المسيحيين الأقباط نالوا في مصر الراحة والحرية، والتسامح في ظل حكم عمرو بن العاص[127] أي تحت ظل الحكم الإسلامي.

نتوصـل بذلك إلى أن قيمة التسـامح تحمل قيماً أخلاقية تؤدي إلى التعايش، والتعايش يؤدي إلى التعاون على مواجهة التحديات والأخطار مصورين بذلك نموذج التفاعل الحضاري المنفتح على الآخر بثقة تامة.

---

[124] سورة الحجر، الآية 85.

[125] سورة آل عمران، الآية 159.

[126] سورة البقرة، الآية 256.

[127] روقيلة، يعقوب نخلة، تاريخ الأمة القبطية، مطبعة متروبول، مصر، ط 2، 2000 م، ص54،55.

- **ثالثاً: الحرية**

من أصعب القضايا أن يشعر الإنسان أو حتى المجتمع أنه مقيد ومجبر على فعل أو تبني فكر ما، خصوصاً أن ذلك يخالف ما أكدته الأديان، وما فُطر الناس عليه، فقد خلق الله الناس أحراراً، وجعلهم يختارون بأنفسهم مصائرهم كما جاء في قوله تعالى "وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ"[128] أي أنه بعد توضيح جميع الطرق للإنسان يصبح بذلك حراً في اختياره.

أما في المسيحية تذكر رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية "فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا دُعِيتُمْ لِلْحُرِّيَّةِ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. غَيْرَ أَنَّهُ لاَ تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا."[129]، فتوصي باستثمار الحرية التي يمتلكها الإنسان في الخير.

ومن المهم الإشارة إلى أن الحرية المرادة لا تتعدى على مصالح العامة، ولا تنتهك حقوق الآخرين وخصوصياتهم؛ لأنها بذلك ستتحول إلى مفاهيم أخرى كالتعدي، والأنانية المكروهة والفوضى التي تدخل ضمن إطار الاستعباد، والاستعمار.

وكما ترتبط قيمة الحرية بالتفاعل الحضاري في أنها تقود الفرد أو الجماعة إلى تقديم الدعم المطلوب في ارتقاء مجتمعاتهم، وتدفعهم لإطلاق الإبداع والإنتاج الحضاري عبر حرية الالتقاء بالآخرين، أو حرية الاختيار في التعرف على أي ثقافة، غير أنها تتيح لهم حرية اختيار مشاركة الخبرات بين المجتمعات، على النقيض إن كان هناك استبداد بمكتسبات

---

[128] سورة الكهف، الآية 29.

[129] رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية 13:5.

العقول، وإجبار للمجتمع على الانعزال عن الآخرين[130] كما كان الغرب يفعل في القرون الوسطى حينها ستقاد الحضارة إلى الاضمحلال.

وقد برزت العديد من المواقف في هذا الشأن منها موقف المسلمين أثناء فترة الفتوحات تحديداً في حمص، إذ طلب المسيحيون منهم الأمان، وبالفعل قام المسلمون بالاتفاق معهم على منحهم الحرية في الاختيار والحياة أي لأنفسهم، وحرية التجارة أي لأموالهم، وحرية التدين والعبادة أي لكنائسهم، بالإضافة إلى حرية التنقل والسفر أينما أرادوا من البلاد التي يحكمها المسلمون[131]، وبناءً على موقف المسلمين فإن الحرية مكفولة للجميع، لا تختص بثقافة معينة أو توجهاً أو حضارة بذاتها، ويظهر التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في هذا الموقف من خلال التبادل الحواري.

وهذه دلالة على إرساء قيمة التسامح في هذه الفترة، خاصة بأن المسلمين لم يكرهوا المسيحيين على الدخول في الدين، بل تعايشوا معهم، وقدموا لهم الأمان، إذاً وجود القيم في التعاملات داخل المجتمعات ينظم مسار الفعل الحضاري، ويشجع الأفراد على تقديم الأفكار البناءة، والتمسك بهذا المجتمع، والحرص على التعاون مع الثقافات المختلفة في إظهار المجتمع بأفضل صورة أي في مظهر متكامل، وعليه لا يمكن التقليل من شأن قيمة الحرية كونها ثمن يفرض على الحضارات مقابل إسهام الأفراد في نهوضها.

---

[130] القمودي، سالم، العدل والحرية، الدار الجماهيرية–ليبيا، ط 1، 1462 هـ، ص72–73.

[131] راجع: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، مصر، 1901 م، ص136–137.

- **رابعاً: المشاركة**

حينما تتعاون الأيادي الواحدة في مجتمعٍ ما للتشـــارك في قيادته نحو التقدم، والازدهار الحضـاري فهي بذلك أيادي متفاعلة حضـارياً، فالمشاركة هنا ترتبط فعلياً بالعدل، لأنها تضم أفراداً من خلفيات ثقافية متباينة، ومن العدل إشـراكهم في المسـائل التي تمس مسـتقبلهم دون فرض الآراء عليهم، وكذلك ترتبط بالتسامح، لأنه من التسامح تَقبُل آرائهم وخبراتهم للمشاركة في بناء حضارة ما.

إن المشـــاركة هي تطبيق فعلي لمفهوم التفاعل الحضـــاري على أرض الواقع، وتكمن أهميتها في تكوين الصورة النهائية للأوضـاع الحضـارية في الأمم إذ أنها "انعكاسات للطاقات والجهود المبذولة من مجموع الأفراد"[132] وإن كان وجودهم في مجتمع معين لفترة مؤقتة نتيجة عمل أو نتيجة الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية هذا من جهة.

من جهة أخرى تتنوع المشـــاركة بحســـب الحاجات المجتمعية، ملبية روح الانتماء في نفس كل فرد، فمن ضمن المشاركات التي تخدم فضاء التفاعل الحضاري:

1. المشاركة الوطنية: عبرت مشاركة المسلمين والمسيحيين مع بعضـهم البعض في الحفاظ على علاقاتهم لحماية اســـتقرار وأمن الوطن، وأمن مصـــالحهم، وذلك يظهر في فتح المســلمين لبيت المقدس "حينها زار عمر بن الخطاب كنيســة القيامة، ودخل عليه وقت الصــلاة، فأشــار البطريك صــفرونيوس[133] أن يصــلي داخل الكنيســة، قائلاً له: (مكانك

---

[132] بكار، عبد الكريم، من اجل انطلاقة حضارية شاملة، دار القلم، دمشق–سوريا، ط 4، 2011 م، ص79.

[133] البطريك صفرونيوس: أسقف أورشليم (القدس) في القرن السابع الميلادي، للمزيد من المعلومات راجع: قداس التذكار، ق.صفرونيوس–أسقف أورشليم 3/11، قديسو الأبرشية الأورشليمية، موقع البطريركية اللاتينية

صـل)، ولكن رفض عمر ذلك، وصـلى بجوارها، وبعد أن أتم صـلاته قال له: " ايذن لي أيها الشيخ، إنني لو أقمت الصـلاة في كنيسة القيامة لوضـع المسلمون عليها الأيدي من بعدي في حجة إقامة الصـلاة فيها. وإني لآبى أن أمهد السـبيل لحرمانكم منها، وأنتم لها أحق وأولى"[134]

مما شـكل صـورة تفاعلية وطنية حضـارية بين طرف، وآخر بشـكل تبادلي هدف إلى حماية ممتلكات الأرض أياً كانت صفتها.

2. المشـاركة الاجتماعية: تتفرع المشـاركة الاجتماعية لعدة فروع منها المشـاركة في العيش، أو الزواج بين أصحاب الثقافات، والأديان المختلفة أو المشاركة في المأكل.

وذلك ما قام به رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم حينما أهدته امرأة يهودية شـاة ومد يده ليأكلها، إلا أنها كانت مسـمومة[135]، وهذه دلالة على مشـاركة الطعام بين المسـلمين واليهود بشرط عدم الضرر، واتباع القواعد الإسلامية في ذلك.

---

https://www.lpj.org/ar/liturgical-office/item-1596174989.html

[134] العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس-فلسطين، ط 5، 1999 م، ج1، ص96-98.

[135] نص الحديث" كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقبَلُ الهديَّةَ ولا يأكلُ الصَّدقةَ زادَ فأهدت لهُ يهوديَّةٌ بخيبرَ شاةً مَصليَّةً سمَّتْها فأكلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ منها وأكلَ القومُ فقالَ ارفعوا أيديَكُم فإنَّها أخبرتني أنَّها مسمومةٌ فماتَ بِشرُ بنُ البراءِ بنِ معرورٍ الأنصاريُّ فأرسلَ إلى اليهوديَّةِ ما حملكِ على الَّذي صنعتِ قالت إن كنتَ نبيًّا لم يضرَّكَ الَّذي صنعتُ وإن كنتَ ملِكًا أرحتُ النَّاسَ منكَ فأمرَ بها رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقُتلت ثمَّ قالَ في وجعِهِ الَّذي ماتَ فيهِ مازلتُ أجدُ منَ الأُكْلَةِ الَّتي أكلتُ بخيبرَ فهذا أوانُ قطعَت أبْهَري" صحيح سنن أبي داود للألباني، الحديث 4512، قال الألباني: حديث حسن صحيح.

فقد جاء في قوله تعالى: "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ"[136]، لذا بدت المشـاركة الاجتماعية كقوة للروابط بين المجتمعات، والأهم من ذلك أن تكون ساعية لهدف يخدم الإنسانية، كونها بذلك تزيد من التفاعل الحضاري بينها وبين الآخر.

3. المشاركة في احترام شخصية دينية واحدة: لا تعبر المشاركة في احترام ذات الشخصية الدينية عن وحدة الأديان، لأنه مصطلح يخالف الخصوصية الدينية، ويحاول المساس بالشأن العقدي، على نقيض التعبير الحقيقي عن المشاركة في احترام شخصية دينية واحدة، إذ أنه يعبر عن تعزيز واحترام بعض الأديان لنفس الشخصية المقدسة.

مثلما في المسيحية والإسلام، فجاء في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا "إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُل مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ»[137].

بينما في الإسلام قال تعالى: "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ"[138]، وبذلك خلق التشارك في رمز ديني حالة من التقارب الحضاري عبر التعرف على النقاط المشتركة بين المجتمع والآخر، مما يدفع تبادل الرؤى والأفكار لدى كل مجتمع.

---

[136] سورة المائدة، الآية 5.

[137] إنجيل لوقا 1:27-28

[138] سورة آل عمران، الآية 42.

ونتوصـل إلى أن المشـاركة بين الحضـارات تتعدد في مجالاتها رغم وقوع الاختلاف فيما بينها، إلا أنها تتشـارك في جوانب لتحقق غاياتها، ويعد ذلك بؤرة التفاعل الحضـاري، ودليلاً على عدم قدرة انعزال المجتمعات كونها بحاجة لبعضـها البعض، فلم يخلق الكون بفكرٍ واحد، بل توازن في التنوع الاجتماعي مما يعد ذلك اسـتثماراً لكل فرد يريد النهوض بحضارته.

الفصل الثاني: الحياة الحضارية في العصر العباسي الأول، وكيفية الاستفادة منها في العصر الحالي

تمهيد

شهد التاريخ ظهور قوة جديدة في مساره خلال القرن الثامن، وهي قوة العصر العباسي الأول، والتي ابتدأت من عام 132 هـ حتى عام 232 هـ أي ما يوافق ميلادياً عام 750 م إلى عام 847 م، وقد امتاز هذا العصر بتطور مجاله السياسي، حيث تقلدت الخلافة العباسية زمام الأمور، واستطاعت توحيد صفوف مجتمعاتها على اختلاف ثقافاتهم، كما تقدمت في المجال الاجتماعي عبر تشجيع اللقاءات بين فئات المجتمع، وتفعيل الحركات التجارية، والتمتع بأنواع الرفاهية، والفنون.

وعلى الصعيد الآخر التقى المسلمون بغيرهم في المناظرات، والحوارات الدينية، فقد عُرِف عن خلفاء ذلك العصر حب الحوار مع الآخر، والشغف بالعلم والأدب، فاستزادوا من علوم الأمم الإغريقية، والهندية، والفارسية، والسريانية، واستفادوا منهم في بناء حضارتهم، ولكن كان الطابع الغالب عليهم هو الطابع الفارسي سواء في نظمهم أو حتى أزيائهم، وفي ذات المحور شجع الخلفاء كل من عاش في ظلهم على طلب العلم، والمشاركة في بناء الحضارة الإسلامية، فقدِم لهم الناس من أغلب البلدان ليتعلموا لغة العصر (اللغة العربية)، ويحظوا بالتقدير والاحترام، وينالوا المكافآت والمناصب، والمكانة العليا مقابل مشاركتهم خبراتهم، ومهاراتهم مع المسلمين، وبناءً على ذلك أُنتِجت العلوم التي ساهمت في ازدهار

الدولة، ذلك حسب الشواهد المادية، والعمرانية، والثقافية، والجغرافية التي توسعت مع الوقت، لهذا يعد ذلك العصر عصراً ذهبياً في الحضارة الإسلامية.

المبحث الأول: مجالات التفاعل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في العصر العباسي الأول

المطلب الأول: التفاعل بين المسلمين والمسيحيين في مجال السياسة والإدارة

عاش النصارى حياة كريمة مليئة بالازدهار في ظل حكم المسلمين بدايةً من العصر الأموي ووصولاً إلى العصر العباسي، في مقابل ذلك تعلق النصارى بالمسلمين وشاركوهم حياتهم، ووهبوهم الثقة الكبرى التي برزت في انتخابات رؤسائهم من المطارنة، وتنصيب الجثالقة، بالإضافة إلى مساعدتهم على حل الخلافات الموجودة بينهم وبين رعاياهم على الصعيد السياسي.

ففي عام 754 م نشأت العديد من الخلافات بين النصارى على كرسي الجثلقة بعد وفاة آبا الثاني (ت 752 م) حتى حاول البعض منهم استخدام القوة والإكراه لفرض سيطرته أبرزهم عامل الخليفة أبو العباس عبدالله السفاح المدعو بإبان، فقد حاول تقليد سورين منصب الجاثليق على النصارى، مما أدى إلى اشتعال الخلافات بينهم، واضطر الخليفة أبو العباس عبدالله السفاح (ت 136 هـ) إلى التدخل، ووضع حل جذري وهو منح النصارى

حق حريـة الانتخـاب الشـــرعي فيمن يتولى إدارتهم، حينهـا تم انتخـاب يعقوب مطران جنديسابور لكرسي الجثلقة، وتم عزل عامل المدينة إبان[139].

وفي الحقيقة لم يكن تصرف الخليفة تصرفاً ديكتاتورياً، فتدخله كان بطلبٍ من النصارى، وهو دليل على عدله، وأمانته في الحكم، من جهةٍ أخرى اتبع الخليفة مســـؤوليته في معالجة المشـــاكل التي بإمكانها إثارة الحروب الداخلية في المجتمع، فقد كان بإمكانه الحد من ذلك عن طريق اسـتخدام القوة أو اسـتخدام سـلطته، لكنه اتبع الحل الأمثل الذي يعود عليه بالنفع مستقبلاً من خلال تعزيز الثقة، والأمن والأمان في نفوس أفراد مجتمعه.

ومع ســـعي المســـلمين وراء الحفاظ على أمن واســـتقرار الدولة العباســـية توطدت العلاقات بين رؤســـاء النصـــارى، والخلفاء العباســـيين، وتعاظمت المصـــالح المتبادلة لدى الطرفين، حتى إن الجثالقة قاموا بنقل كرسـيهم إلى مركز المسـلمين في "مدينة بغداد" عام 779 م بالتحديد في كنيســـة دار الروم، إذ ازدادت أواصـــر الروابط فيما بينهم[140]، ومن رؤساء النصارى الذين امتازوا بالمكانة لدى الخلفاء: (طيمثاوس الأول، والجاثليق جورجيس الثاني، والبطريك ديونيسيوس الأول)[141].

---

[139] بن سليمان، ماري، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، طبع في رومية الكبرى المسيحية، روما، 1899 م، ج 1، ص67-70.

[140] عطية، عزيز سوريال، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة/ إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005 م، ص 334.

[141] راجع: الكلداني، بطرس نصـــري، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشـــارقة والمغاربة والســـريان، دير الآباء الدومنيكيين، الموصل-العراق، 1905 م، ج1، ص344،389،390، والمرجع السابق، ص241.

وأخذ الخلفاء يصـــدقون على انتخابهم لتمثيل رعاياهم في قصـــر الخلافة، ويختارون الأنسب والأصلح منهم، ففي عهد الخليفة أبو إسحاق محمد المعتصم أخرج طبيبه سليمان قراراً باســم الخليفة أبو إســحاق محمد المعتصــم بالله (ت 227 هـ) يصــرح فيه باختيار الجاثليق إبراهيم الثاني (ت 853 م) لهذا المنصب[142]، ومن الحكمة أن يحرص المسلمون على ضــم الأقليات الدينية غير المســلمة في صــفوفهم، ومنحهم مكانة مرموقة حتى وإن كانت تلك المكانة يمكن الوصــول إليها بطرقٍ أخرى، وذلك في ســبيل أولوية إرســاء مبدأ المساواة.

- الاستشارة السياسية

حاولــت الإدارة الإســلامية جعــل المجتمــع بمختلــف أديانــه، وثقافاتــه مــن أهــل الخبـرة شـريكاً فـي إدارة الدولـة، وتطويرهـا، وتتمثـل هـذه المشـاركة فـي استشـارة الخليفـة عبـد الله أبـو جعفـر المنصـور (ت 158 هـ) لـبعض خبـراء النصـارى حـول موقـع بنـاء عاصـمة الخلافـة العباسـية الجديـدة (مدينـة بغـداد) "عـام 144هـ"[143]، ولـم يبخلـوا عليـه بـالرأي السـديد، فقـالوا لـه حسـب مـا ورد عـن ابـن الطقطقـا: "يـا أميـر المـؤمنين تكـون علــى الصــراة بــين دجلــة والفــرات، فــإذا حاربــك أحــد كانــت دجلــة والفــرات خنــادق

---

[142] الكلداني، بطرس نصري، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة والسريان (مرجع سابق)، ج 1، ص392.

[143] ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، 2012 م، ج 5، ص132.

لمـدينتك، .... وأنـت يـا أميـر المـؤمنين بـين أنهـار لا يصـل عـدوك إليـك إلا علـى جسر أو قنطرة..." فأمر ببنائها على الفور[144].

إن اعتماد الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصـور آراء النصـارى في بناء مدينة مهمة للمسـلمين كبغداد لا يعد أمراً يسـيراً، فعلى الرغم من اختلاف دينهم، والعداوة التي صـورت من قبل المسـيحيين ضـد المسـلمين عبر التاريخ، إلا أن الحوار السـابق يشـهد على أمانة وصدق التعامل بين الطرفين بهدف المصالح المتبادلة التي تخدم البناء الحضاري بأسلوبٍ سـلمي، ويتبين أنه وافق على تنفيذ مشـورتهم لما رآه فيهم من مهارة وعلم، وأسـلوب منطقي في مجال التخطيط الاستراتيجي على المستوى السياسي والعمراني.

أما في عهد الخليفة عبد الله المأمون (ت 218 هـ) فقد أنشـأ الخليفة مجلساً استشـارياً يضـم ممثلي الطوائف التي تقيم في المجتمع منهم المسـلمون، والمسـيحيون، واليهود، والصـابئة، والزرادشتيون[145]، وغيرهم، مما ساهم في زيادة فرص التعرف على الآخر، ولقاء العقول المختلفة ثقافياً مع بعضها البعض.

---

[144] ابن الطقطقا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت–لبنان، 1900 م، ص162، بعد الاطلاع على مرجع ابن الطقطقا لاحظنا أنه من المراجع التي بني فيها النص على التحيز انطلاقاً من خلفية الكاتب الدينية، وكتابة المواقف التاريخية بناءً على أهوائه، لكننا رجعنا له فيما هو محايد، ومتفق مع المصـادر الأخرى منهـا: الطبري، أبو جعفر محمـد بن جرير، تـاريخ الأمم والملوك، بيـت الأفكـار الـدوليـة، عمـان– الأردن، ص1548،1549. (د.ت).

[145] علي، سيد أمير، مختصر تاريخ العرب، ترجمة/ عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط2، 1967 م، ص247.

- المناصب الإدارية

أولت الخلافة العباسية اهتماماً بالمسلمين، والمسيحيين عبر تعيينهم في مناصب إدارية مهمة بالنسبة للدولة آنذاك، فلقد تولى الفيض بن أبي صالح منصب وزير للخليفة أبو عبد الله محمد المهدي (ت 169 هـ) حسب ابن طباطبا[146]، ونشير إلى أن الفيض كان نصرانياً من أهل نيسابور، ومن ثم انتقل للعيش في ظل المسلمين، فتربى في كنفهم، وأسلم بعد ذلك، لما رآه من حسن معاملة، وطيب أخلاق، وشغف بالعلوم والآداب، وهذا ما يثبت أن التعايش، والتفاعل مع الآخر لا بد من أن يؤثر على الأطراف بصورة أو بأخرى.

من جانبٍ آخر نال بعض المسيحيين هذه المناصب رغم جهلهم، وعدم معرفتهم بالشؤون الوزارية أبرزهم الفضل بن مروان أحد وزراء الخليفة أبو إسحاق محمد المعتصم، وقد استوزر من قبل الخليفة لثقته به، ومعرفته بخدمة الخلفاء، لكنه لم يكن عند حسن ظن الخليفة به، فقام بعزله لخيانته، حينها استوزر أحمد بن عمار[147]، وقد اتضح لنا أنها لم تكن المرة الأولى في تغيير منصب الوزير في مدة قصيرة، مما يبين أن الخلفاء يمكن لهم ألا يصيبوا في قراراتهم، وذلك لاختلاف شخصياتهم حسب اطلاعنا على التسلسل التاريخي لمنصب الوزير في تلك الفترة.

---

[146] ابن الطقطقا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (مرجع سابق)، ص187.

[147] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (مرجع سابق)، ص1837.

- القضاء

تمتع المسيحيون في ظل الحكم الإسلامي بالحرية القضائية، فقد تم إنشاء محاكم خاصة لهم تدار بواسطتهم بهدف حل نزاعات رعاياهم، ولكن اتجه العديد منهم إلى المحاكم الإسلامية؛ للحكم في قضاياهم، مما جعل السلطة القضائية المسيحية تفرض العقوبات على كل من يتوجه إلى القضاء الإسلامي.

فجاء في كتاب الولاة والقضاة للكندي ذكر للقاضي المسلم خير بن نعيم الذي كان يذهب للمسجد للحكم بين المسلمين، وبعد العصر يجلس أمام باب المسجد للحكم بين المسيحيين، حتى أصبح القضاة الآخرين فيما بعد يخصصون يوماً في بيوتهم للبت في أمور النصارى القضائية، والجدير بالذكر أن أحد القضاة قد أدخل النصارى المسجد للحكم فيما بينهم وهو محمد بن مسروق، وكان حينها أول دخول لهم للمسجد في ذلك العصر[148]، ولا يعني بأنهم لم يدخلوا المسجد قبل ذلك العصر، وإنما هذا يدل على عمل قضاة القضاء الإسلامي في أغلب الأوقات، بسبب ارتفاع أعداد المسيحيين الذين لجأوا إليه؛ مما يبين تسامح القضاة المسلمين في استقبال الناس دون رد أي فرد منهم لمحاكمه الخاصة.

ونستنتج من لجوء النصارى إلى القضاء الإسلامي للبت في شؤونهم أن القضاء حرص على تحقيق العدل، والنزاهة في الحكم بنتائج ترضي جميع

---

[148] الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت–لبنان، 1908 م، ص351، 390–391.

الأطـراف، علـى الـرغم مـن أن المحـاكم اسـتندت علـى الشـريعة الإسـلامية المخالفـة لعقيدتهم.

- الجبايات

تعاملـت الدولـة العباسـية مـع المسـلمين والمسـيحيين عبـر أخـذ الجبايـات مـنهم، والتـي كانـت نظامـاً أساسـياً تعتمـد عليـه الدولـة فـي زيـادة دخلهـا، واسـتثماره فيهـا، مـن أبرزها:

1. الجزية:

سـار المسلمون في تعاملهم مع النصـارى بناءً على المبادئ، والنصـوص الإسـلامية، ففرضـوا الجزية على كل رأس مقابل اسـتقرارهم في دار الإسـلام، والمحافظة على حمايتهم وأمنهم[149]، وهناك تأويل آخر لابن القيم يرى فيه بأنها تؤخذ منهم "جزاءً على كفرهم لأخذها منهم صـــغاراً"[150]، وقد أوجبت الجزية على البالغين العاقلين من الرجال مع مراعاة الفقراء منهم، ومحدودي الدخل، والأغنياء، لكن مع ذلك وضع الإسلام بعض الاستثناءات التي من خلالها يمكن أن تسقط الجزية عن المسيحيين منها:

أ. سقوط الجزية عمن كان مسيحياً ثم دخل الإسلام؛ لكنه فيما بعد سيكون مطالباً بأداء الزكاة.

---

[149] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط 1، 1989 م، ص181-183.

[150] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، دار رمادي للنشر، الدمام-المملكة العربية السعودية، ط 1، 1997 م، ج 1، ص119، 122.

ب. سقوط الجزية مقابل المشاركة العسكرية في حال الدفاع عن دار الإسلام.

وفي الحقيقة يصـــعب تحديد مقدار الجزية؛ لاختلاف الفقهاء فيها من عصـــرٍ لآخر[151]، وهذا أمرٌ معقول؛ لأن كل ما هو مال يتغير بتغير الزمان، والمكان.

ومن جانب العلاقات الخارجية جبيت الجزية من البيزنطيين أيضـــاً، ففي عهد الخليفة أبو جعفر هارون الرشـيد (ت 193 هـ)، بعث الإمبراطور نقفور الجزية عن رأسـه وعن أهل بلده، وكانت ما يقارب الخمســـين ألف دينار[152]، بصـــورة عامة نرى أن الجزية كانت في العصر العباسي مصدراً من مصادر الدخل الممتازة التي اعتمدت عليها الدولة مع المصادر الأخرى آنذاك.

2. الخراج:

أما عن المصـدر الآخر فهو الخراج الذي عُد مصـدراً دائماً في بيت المال خلال الزمن العباسـي، إذ أنه كان يُجمع من كل صـاحب مُلك أو أرض أو دير وملحقاته[153] سـواء كان صـاحبها مسـلماً أو مسـيحياً[154]، ولأهمية الخراج بالنسـبة للخلافة العباسـية كان هناك ديوانٌ خاصٌ به في كل مدينة يقلد عليه أصـــحاب الكفاءات، والثقة من قبل الدولة، ففي زمن

---

[151] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية (مرجع سابق)، ص181،184.

[152] العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، 1972 م، ص92.

*للمزيد من المعلومات عن الامبراطور نقفور امبراطور الروم، راجع:

William, Charles, Previté–Orton, C.W, Brooke, Z. N. and others, Cambridge Medival History, The Eastern Roman Empire (717–1453), Cambridge University Press, England, Vol 4, 1936.

[153] الزيات، حبيب، الديارات النصرانية في الإسلام، دار المشرق، بيروت–لبنان، ط4، 2010 م، ص121.

[154] الماوردي، الأحكام السلطانية (مرجع سابق)، ص186،187.

الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصـــور (ت 158 هـ) عين عمارة بن حمزة على ديوان خراج البصرة عام 155هـ [155]، ومن المهم الإشارة إلى أن الخراج بات نظاماً من النظم الاقتصادية التي تطورت مع كل حكم جديد في العصر العباسي الأول، حتى أنها اعتبرت عائداً فاحشاً على الدولة، مما ســاهم في اســتثمار هذا المال في شــتى المجالات التي تطور المجتمع، فذكر مؤرخو العرب حسـب غوسـتاف لوبون Gustave Le Bon بأن دخل الخلافة آنذاك بلغ مئتي مليون فرنك سنوياً[156].

وازدياد دخل الدولة بهذه المبالغ الضـخمة حسـب ذلك الزمان يدل على غلو الجبايات المتمثلة في الجزية والخراج، مما أدى فيما بعد إلى احتجاج الفلاحين بمصــر، وإعلان حالة التمرد من قبل المسلمين والمسيحيين عن طريق العديد من الثورات، والتي قامت بين عامي (739م–773م) (121هـ–156هـ)، كذلك خروج الثورة الشهيرة بـــ "ثورة البشموريين" عام (831 م) (216 هـ) أثناء خلافة عبد الله المأمون (ت 218 هـ)[157] حتى انتظر المأمون هدوء الشعب، وقام بزيارتهم لإرضائهم.

---

[155] الجهيشاري، أبو عبد الله محمد، الوزراء والكتاب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1983 م، ص124.

[156] لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة/ عادل زعيتر، الدار الأهلية للنشر، الأردن، ط3، 2019 م، ص194.

[157] عطية، عزيز سوريال، تاريخ المسيحية الشرقية (مرجع سابق)، ص107–108.

وعلى الرغم من أن هذه الجبايات كانت ثقلاً على المجتمع، إلا أنها أعُيدت للفلاحين من خلال إنفاق جزءٍ كبير منها في الزراعة وخدماتها، فحاولت الخلافة العباسية إقامة الجسور والقناطر، وحفر الترع، وتطوير الأراضي الخصبة من خلال هذه الأموال[158].

وتكمن فائدة هذه الجبايات في التفاعل والتشارك بين أفراد المجتمع بهدف وضع حلول تحد من حالة التدهور التي أصابتهم في تلك الفترة، كما أن هذه الأموال كانت سبباً في تشجيع المجتمع على إظهار أفضل ما لديه من مهارات وخبرات؛ حتى يستطيع الحصول على المكافآت الثمينة كما سيأتينا لاحقاً.

3.الزكاة:

لم تكن الأموال تجبى فقط من الجانب المسيحي، بل حتى المسلمون كانوا يؤدون الزكاة، والصدقات التي تجبى على المواشي مع الخراج، وفي الأصل توزع هذه الزكاة على الفقراء حتى قاموا بتخصيص "بيت مال الزكاة" ليتم تمييز أمواله عن باقي أموال الدولة[159].

إن الجبايات وثقلها كانت على الجميع من مسلمين، ونصارى فإن عم الخير والرخاء والغنى عم على الجميع بحسب جهوده، وإن اشتدت الظروف، وثقلت التكاليف

---

*ثورة البشموريين: كانت من أكبر الثورات الشعبية التي اشترك فيها المسلمون، والمسيحيون في عصر الخليفة المأمون عام 813 م بمصر؛ لتدهور الأحوال المالية، والزراعية، وعجز الفلاحين، والمسيحيين عن سداد الجبايات. (المرجع نفسه).

[158] حسن، محمود، والشريف، أحمد، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، مصر، ط3، 1977 م، ص192.

[159] راجع: حسن، حسين الحاج، النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، ط 1، 1987 م، ص263–266.

اشتدت أيضاً على الجميع، فنستنتج بأن كلاهما كان لهما قوانين، وواجبات طلبت منهما بحسب النظام المتبع لديانة كل فرد، وهنا يتحقق مبدأ العدل، والمساواة الذي ساهم فيما بعد في العمل كيد واحدة؛ للنهوض بالمجتمع ومعالجة مشاكله، والتفكير في بدائل تساهم في سد احتياجات الأفراد من خلال استثمار مهاراتهم في وظائف الدولة.

وبناءً على العلاقات السياسية بين المسلمين والنصارى نستنتج أن الثقة، والتعامل الحسن اللذان كانا من قبل الطرفين لم يكونا مهابةً من مكانة الخلفاء وسلطتهم العليا فقط، وإنما كان رد فعل على أخلاق رفيعة وحسن تقدير، فمن خلال التعمق في هذا العصر نجد أن الحالات التي تملكها الحقد، والجشع، والاستغلال للخلفاء ظهرت مع الوقت، مما يؤكد على أن كل شخص في هذا العصر تعامل على سجيته دون الخوف من مكانة أو سلطة، فالشخص الجيد تعامل بجوده، وطيب أصله حتى مماته، والشخص السيء تجلى مع الوقت ونال عقابه، ومن ناحية الجبايات فهي تعد مورداً هاماً للدولة بعد استثمارها فيها، ومساهمتها الكبيرة في تطويرها، وتطوير نظمها السياسية، والاجتماعية، والعلمية، لما يخدم غاية النمو الحضاري.

المطلب الثاني: التفاعل الاجتماعي بين المسيحيين والمسلمين

بدأت العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والمسيحيين حقيقةً منذ بناء مدينة بغداد عام 145هـ كعاصمة للخلافة العباسية؛ حينها قصدها العديد من المسيحيين؛ لتوفر سبل المعيشة فيها أكثر من غيرها، فاستقبلهم المسلمون بالمعاملة الحسنة.

والدليل على ذلك عند استوطان النصارى مدينة بغداد قام الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصور (ت 158هـ) بتخصيص أماكن سكنية جيدة لهم في قطيعة النصارى، وقد حاولنا

حصـــر بعض الأماكن التي ســكنها المســيحيون من خلال اســتقراء المصـــادر والمراجع التاريخية، فكان من ضـمنها درب القراطيس[160]، وسـوق الثلاثاء[161]، ومحلة الشـماسـية[162]، ومنطقة الكرخ[163]، ومحلة العتيقة[164]، وأيضاً أرجاء دير كليلشوع[165].

وقد كانت أغلب هذه المناطق موجودة في نواحي بغداد الشـــرقية، وبعضـــها وجد في نواحي بغداد الغربية؛ مما يعني ذلك أن المسـيحيين سـكنوا بجوار المسـلمين، وهذا في حد ذاته عامل محفز على اللقاءات، والتفاعل بين بعضهم البعض.

وبما أنه كانت هناك لقاءات، وتفاعل بين المســلمين والنصـــارى؛ إذاً لا بد أن يكون هناك تأثير ولو قليل قد نتج عنها، والذي أدركناه في قول الجاحظ "تســـموا بالحســـن، والحســـين، والعباس، والفضـــل، وعلي، ... ولم يبق إلا أن يتســـموا بمحمد..فرغب إليهم المسلمون"[166] ، ويقصد هنا أن المسيحيين قاموا بتسمية أبنائهم امتثالاً بأسماء المسلمين.، فمن جانبنا نرى أن الآباء لا يمكن أن يطلقوا على أبنائهم فلذة أكبادهم أسماء لا يحبذونها، إذ أن الأسماء أطلقت هنا انطلاقاً من محبة، وتأثير.

---

[160] بن سليمان، ماري، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (مرجع سابق)، ص85.

[161] البغدادي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت–لبنان، ج 3، ص281. (د.ت)

[162] المرجع نفسه، ص361.

[163] البغدادي، صفي الدين، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط 1، 1992 م، ج 3، ص1156، أي أنها تقع بجوار قطيعة النصارى.

[164] المرجع نفسه، ج 2، ص919.

[165] بن سليمان، ماري، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (مرجع سابق)، ج 1، ص74.

[166] الجاحظ، أبي عمرو عثمان، رسائل الجاحظ –في الرد على النصارى، مكتبة الخانجي، مصر، ج 3، ص317. (د.ت)

ولقد تعززت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين مع بداية مشاركتهم في عدة جوانب اجتماعية منها:

- المشاركة في المأكل والمشرب: حيث كان المسلمون يتشاركون موائدهم مع المسيحيين عدة مرات، ففي عهد الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصـور (ت 185هـ) قام الطبيب النصـراني بختيشـوع (ت 184هـ) بزيارته، فطلب الخليفة أن يعدوا له الطعام، وقام بمشـاركته الأكل على مائدة واحدة[167].

ومن جانبٍ آخر ذكر القفطي في كتابه أن جبرائيل بن بختيشـوع (ت 213 هـ) كثيراً ما كان يعد الطعام للخليفة أبي جعفر هارون الرشـيد (ت 193 هـ)، وقد ذكرها القفطي من باب خدمة المسـيحيين للخليفة[168]، إلا أن ذلك يدلنا على ثقة الخليفة في غير المسـلمين حتى يأمنهم على مأكله، ومشربه.

- إكرام الآخر، ومشـاركته مسـكنه: قد اعتاد الخلفاء، وعامة المسـلمين في رحلاتهم التعريج على أديرة المسـيحيين بهدف الراحة، والاسـتجمام بعد رحلة شـاقة، خاصـة إذا علمنا أن تصاميم بناء الأديرة كانت في غاية الجمال خلال تلك الفترة.

فقد روى إسـحاق الموصـلي رحلته مع الخليفة أبو جعفر هارون الرشـيد قائلاً: كنا "خرجنا مع الرشـيد نريد الرقة. فلما خرجنا بالموضـع الذي يقال له القائم نزلنا، وخرج يتصـيد

---

[167] شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي–الخلافة العباسية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط 8، 1985 م، ج3، ص80.

[168] القفطي، جمال الدين أبي الحسن، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 2005 م، ص166.

وخرجنا معه. فأبعد في طلب الصـــيد ولاح لي دير فقصـــدته...فنزل صـــاحبه ففتح الباب...وعرض علي الطعام فأجبته...فقدم لي طعاماً من الديارات نظيفاً طيباً فأكلت منه.."[169] فما كانوا يجدون من أصحاب الدير إلا حسن الاستقبال، وكرم الضيافة.

- المشـاركة في الاحتفالات والأعياد والمناسـبات الموسـمية: احتفل المسـلمون والنصـارى مع بعضـهم في بعض الأعياد، والمناسـبات الموسـمية النصـرانية، إذ حضـر بعضـهم عيد دير الثعالب[170]، بينما آخرون قاموا بحضـور الأعياد التي أقيمت في دير درمالس[171]؛ الأمر الذي كان له أثر في صنع حالة من التعايش المجتمعي بين الطرفين.

وبناءً على ما تقدم جاءت مشاركة المسلمين والمسيحيين بعضـهم البعض في عدة مواقف انطلاقاً من كونهم منتمين لمجتمعٍ واحد؛ مما عزز التعايش الوطني بين أصـــحاب الأديان والثقافات المختلفة، فمشـاركة المسـلمين أعياد النصـارى هي من باب مشـاركة أبناء مجتمعهم فرحتهم لا من باب الاعتراف بأعيادهم على الصـعيد الديني، ونشـير إلى أن الجانب الإسـلامي يستند في تعامله مع الآخر على قاعدة الولاء والبراء حفظاً لهويته وعقيدته وخصائصه، فالتعايش في العصر العباسي الأول كان بضوابط ساعدت في الوصول إلى التفاعل الحضاري.

---

[169] زيات، حبيب، الديارات النصرانية في الإسلام (مرجع سابق)، ص31-32.

[170] الشابشتي، أبو الحسن علي، الديارات، مكتبة المثنى، بغداد-العراق، ط2، 1966 م، ص343-345.

[171] الشابشتي، أبو الحسن علي، الديارات (مرجع سابق)، ص3-5.

*قاعدة الولاء والبراء: وهي قاعدة حصن المسلم، وحماية لهويته الإسلامية من أي عقائد دخيلة، وكما تعلّمه حدود التعامل مع أخيه المسلم، والآخر غير المسلم، وتوعيه بالمحاذير التي يجب ألا يقع فيها، وقد استفاض في هذه القاعدة كتاب (من مفاهيم عقيدة السلف الصالح- الولاء والبراء)، وما يهمنا الرجوع إلى مسألة الاحتفال بالمناسبات والأعياد مع غير المسلمين، لذا يمكن الرجوع إلى: القحطاني، محمد بن سعيد، من مفاهيم عقيدة السلف الصالح (الولاء والبراء في الإسلام)، دار طيبة، مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية، ط6، 1413هـ، ص359-360.

- الحياة الصحية

أما في المجال الصحي، فقد وجدت عدة بيمارستانات في بغداد، والمدن الأخرى أثناء فترة الخلافة العباسية، والتي تكفلت باستقبال مرضى المسلمين، والمسيحيين لعلاجهم، كما دعمتهم الدولة في سبيل تلقي العلاج مجاناً للجميع، ومن المهم معرفة أن تلك البيمارستانات وجدت قبل الحكم الإسلامي، فشجعت المسلمين على إنشاء نماذج توازيها في البلاد التي افتتحوها، وذلك لتقدمها في مهنة الطب.

ومن أعرق البيمارستانات التي اتُخِذت أنموذجاً رئيساً عند المسلمين هي" بيمارستان جنديسابور" الذي عمل فيه العديد من السريان، وساعدوا في نشر الطب للبلاد العربية[172]، وامتثالاً لبيمارستان جنديسابور كلف الخليفة أبو جعفر هارون الرشيد جبريل بن بختيشوع النصراني ببناء بيمارستان في بغداد موليا رئاسته لأحد أطباء بيمارستان جنديسابور، ويدعى "ماسويه الخوزي"[173],

ويتبين من ذلك مدى حرص الخلافة العباسية على الاهتمام بأحد أهم دعائم المجتمع اهتماماً شديداً، وتحقيق قيمة المساواة عبر تلقي المسلمين، والمسيحيين الرعاية بنفس الجودة دون تمييز أو تفرقة، مما جعل المسيحي يعالج المسلم، والمسلم يعالج المسيحي، وفي الواقع نشيد بدور الخلافة العباسية في تأسيس المجتمع من خلال الرجوع إلى المصادر الأولية لكل مجال مثلما

---

*بيمارستان: كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو مصاب، و(ستان) بمعنى مكان أو دار فهي إذاً دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال، فصارت مارستان..، من كتاب: بك، أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت–لبنان، 1981 م، ص4.

[172] بك، أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام (مرجع سابق)، ص61–62.

[173] المرجع نفسه، ص178.

تمثل في جلبهم للمهارات الأصيلة بالمجال الطبي، للتعلم منهم مباشرةً بصورة صحيحة، مما يدعم غاية التفاعل الحضاري السامية.

إن جلب أصحاب الاختصاص في مهنة الطب من المسيحيين أسهم في تقدم المجال الطبي، ورفعة شأن أصحابه؛ لبراعتهم فيه، واهتمامهم بتوارثه جيلاً بعد جيل، إذ كان الآباء، والأبناء يعالجون الخلفاء، وباقي المسلمين حتى اعتادوا عليهم، وأمنوهم على صحة أجسادهم مقابل هبات ثمينة، ورواتب عالية حصلوا عليها باستحقاق، فالكثير من الأمراض لم يستطع أحد مداواتها إلا هم.

ومن الشواهد على هذا الأمر عندما تدهورت صحة الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصور (ت 158هـ) ومرض عام 148 هـ، فقد كان مرضه غريباً كلما تدخل طبيب لمعالجته ساءت حالته، حتى طلب عبد الله أبو جعفر المنصور البحث في كافة المدن عن أمهر طبيب لمعالجته؛ حينها رجحوا له الطبيب جورجيس بن بختيشوع (ت 152 هـ) رئيس أطباء جنديسابور فأكرمه المنصور، وأسكنه في أفضل موضع من داره، والجدير بالذكر هنا أنه تمكن من معالجة المنصور حتى أن الخليفة أغدق عليه بالعطايا الثمينة تعبيراً عن امتنانه وشكره له[174].

على النقيض من هذا السلوك النبيل ظهرت بعض الفئات التي امتهنت الطب بهدف التجارة، واستغلال أموال المسلمين فكانوا ضرراً على المهنة، وعلى سمعة أصحابها خاصة وأن أغلب من امتهنها كان من النصارى، كما وجد أيضاً النوع الآخر الذي حمل على عاتقه مسؤولية

---

[174] القفطي، جمال الدين أبي الحسن، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص123-124.

المهنة، واتقانها، فنال ما يرضيه من ضمنهم الطبيب جبرائيل بن بختيشوع (ت 213 هـ) الذي خدم الخليفة أبو جعفر هارون الرشيد(ت 193 هـ)، ومحمد الأمين(ت 198 هـ)، وعبد الله المأمون(ت 218 هـ) صابراً على الفترات التي مرت عليه ما بين شدة، ورخاء، ففي إحدى المرات كاد له أحد الأساقفة عند الخلفاء من خلال تشويه سمعته المهنية؛ مما تسبب في حبسه، لكن أمانته وإتقانه للطب كانا بمثابة المخرج له من هذه الشدة، فقد مرض الحسن بن سهل، وعجز الأطباء عن معالجته فلم يكن أمام الخلفاء سوى الطبيب جبرائيل، لذا قاموا بالعفو عنه مؤقتاً[175] وبالفعل استطاع مداواته.

من ناحية أخرى لم تكن العلاقة بين الطبيب المسيحي، والخليفة المسلم، علاقة طبيب بمريضه، وإنما كانت علاقة يسودها الاحترام، والمحبة، والمودة المتبادلة، ومن الأمثلة على ذلك تأثر، وبكاء الخليفة أبو إسحاق محمد المعتصم بالله (ت 227 هـ) عند مرض طبيبه سلموية بن بنان (ت 225 هـ)، قائلاً له: "أشر علي بعدك بمن يصلحني، فقال: عليك بهذا الفضولي يوحنا بن ماسويه..."[176]، ولما مات اتضحت مدى العلاقة الوطيدة التي كانت بين الخليفة أبو إسحاق محمد المعتصم، وسلموية، كما أثبت سلموية تفوقه في مجاله، إذ قال المعتصم فيه "سألحق به، لأنه كان يمسك حياتي، ويدبر جسدي"[177].

وهذه دلالة على براعة المسيحيين في مهنة الطب التي عمت عليهم بالمنافع، والخير الوفير، لكن لابد من معرفة أن المهن لم تكن تخلو من الأطماع، والأحقاد ضد أصحابها، مع الأخذ

---

[175] القفطي، جمال الدين أبي الحسن، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص111-112.

[176] المرجع نفسه، ص160.

[177] المرجع نفسه، (نفس الصفحة).

بعين الاعتبار أن هذه الضـــغينة لا علاقة لها بدين، أو عرق، أو ثقافة، وإنما هي ســـوء نفس، واستغلالها في إشباع المطامع الفردية التي تمثل أصحابها.

- الحياة الاقتصادية

وفي ظل تطوير الحياة الاجتماعية، انتعشت إحدى الدعائم الأخرى للمجتمع العباسي متمثلة في الحياة الاقتصادية خاصة بعد اهتمام المسلمين بالنظم المالية كونها كانت سبباً في تشـــجيع الخبرات من مختلف الثقافات على التفاعل مع المجتمع، عن طريق تشـــييد الطرق، وإقامة المستشفيات، ودور العلم، والأسواق، وعمران المدن في بغداد، والبصرة، والكوفة، وغيرهما من المدن، مما ساعد على ازدهار الحياة التجارية في البلاد.

فاهتم المسلمون بتطوير الدولة، وتوفير البيئة المناسبة للأطر المبدعة في كل صنعة عن طريق وضع سوق خاص لكل تجارة، وتوفير مساكن لأصحاب المهن بجوار الأسواق، مثال على ذلك منطقة الكرخ التي ســكنها المســيحيون، فقد جاورتهم أســواقهم من ســوق للصرافين، وسوق للعطارين، وسوق للأقمشة[178]، من ناحية أخرى انتشر التجار المسلمون والنصارى في مدينة البصرة حتى لقبت "بمدينة الدنيا، ومعدن تجاراتها، وأموالها"[179] حسب اليعقوبي، تعبيراً عن مدى نشاط حركاتهم التجارية فيها.

---

[178] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، المكتبة المرتضوية، النجف–العراق، 1918 م، ص14.

[179] المرجع نفسه، ص85.

ومما يدلنا أيضاً على المعاملات التجارية المتبادلة بين المسلمين، والمسيحيين مثلما أشار إليها أبو يوسف في كتاب الخراج قائلاً "إن بعض المسلمين لجأوا إلى المسيحيين أوقات الصلاة لحفظ حوانيتهم، والبيع فيها أثناء غيابهم لقاء أجرٍ متفق عليه[180].

إذاً نرى بأن المسلمين، والمسيحيين قد تجاوروا في المهن أيضاً، وأحيوا التفاعل في حركات البيع والشراء، مما سبب حالة من التدافع تقوم على تشجيع الأفراد لخوض منافسة شريفة، وتطوير مهاراتهم عبر ازدياد اللقاء بينهم وبين الآخر.

لقد نشطت الحياة الاجتماعية عبر نمو المجال الاقتصادي، مما جعل العديد من أفراد المجتمع يندرجون في الطبقات الغنية من خلال امتهانهم المهن المختصة بالشؤون المالية، وأخص بالذكر المجتمع المسيحي، فقد كانوا من أصحاب البنوك، والصرافين، والجهابذة[181] الذين عملوا على تسهيل معاملات جميع التجار، وبعبارة أخرى احتكروا هذا المجال؛ لحذاقتهم فيه، فيقول الجيهشاري: "ولو قصدت درباً من دروب الصيارف بالكرخ لوجدت فيه أضعاف هذه.."[182] أي أن أغلب الصيارفة كانوا من النصارى.

وفي ذات السياق تفوق المسيحيون في مهنة "الجهابذة" التي تهتم بسلامة العملة، وتميز الرديء منها من الجيد، إذ تم إنشاء ديوان خاص لهذه المهنة من قبل الخلفاء يدعى "بديوان الجهبذة"[183] ويعني ذلك أن هذه المهنة قد اتسعت أعمالها فيما بعد وتطورت مع

---

[180] أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، دار المعرفة، بيروت–لبنان، 1979 م، ص134.

[181] الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط3، 1995 م، ص140، وراجع: عطية، عزيز سوريال، تاريخ المسيحية الشرقية (مرجع سابق)، ص242.

[182] الجهشياري، أبو عبد الله محمد، الوزراء والكتاب (مرجع سابق)، ص228.

[183] الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (مرجع سابق)، ص185.

الزمن، ومما تقدم نلاحظ أن الخلفاء العباسيين لم يكلفوا فرداً برئاسة منصب معين إلا كان من أصحاب الكفاءة، والخبرة على المدى التاريخي، فمن هنا كانت مهنة الجهابذة أيضاً من اختصاص النصارى، ونشير إلى أن الثقة التي أوليت للمسيحيين، والمسلمين لم تكن ثقة عمياء، وإنما أولت لها الخلافة الإسلامية رقابة مشددة، للحد من حدوث أي ظلم.

كما تشارك المسلمون والمسيحيون في مهنٍ أخرى أسهمت في تعزيز التعايش والتفاعل الاجتماعي وخدمة مجتمعهم، ومن ضمن هذه المهن:

أ. الهندسة:

تعاون المسلمون وغير المسلمين في هندسة السكك بمدينة بغداد منهم "عبد الله بن محرز، والحجاج بن يوسف، وعمران بن الوضاح، ..."[184]، مما أدى ذلك إلى عمارة المدينة، وتحسين أوضاع أهلها الاجتماعية.

بالإضافة إلى مساهمة هذه المهنة، وتعاون أفرادها في عمران المدن التي كانت في ظل الحكم العباسي، فكثرت قصورها، ومساجدها، وكنائسها، وعمرانها، وبالتأكيد هذا يحيلنا على أحد أهم جوانب التفاعل الحضاري ألا وهو الجانب العمراني المادي من خلال تفاعل مختلف الثقافات عبر بناء طرز عمرانية متنوعة إبان ذلك العصر، وهو ما تشهد عليه الآثار التي بقيت من تلك الفترة.

ب. الصناعات:

---

*الجهبذ: "مفرد لكلمة (جهابذة) وهو الخبير بغوامض الأمور، ناقد عارف بتمييز الجيد من الرديء"، عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (مرجع سابق)، ج1، ص409.

[184] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، البلدان (مرجع سابق)، ص15.

دعم الخلفاء العباسيون أصحاب الصناعات من زراعين، ومهندسي الماء، والخزفيين، والوراقين، وصناع الأدهان، ووظفوا مهاراتهم من خلال دعوة الخليفة المعتصم (ت 227 هـ) لهم من شتى البلاد، وإنشائه الأسواق لكل تجارة يتميزون بها مقابل المال[185].

كما وجدت مهن أخرى عملوا فيها، وتعاونوا مع بعضهم البعض مثل النقلة، والمترجمون، والكتاب، والمعلمون ممن سيأتي ذكرهم لاحقاً، فالمهن السابقة لا على سبيل الحصر، وإنما للاستدلال على تنوع المهن، والمهارات التي كانت موجودة في تلك الفترة.

يتضح إذاً من كل ما تقدم أننا يمكن أن نتعاون باختلاف مرجعياتنا في مجالات عدة تخدم مصالحنا، وتنمي قدراتنا وتطورنا دون المساس بمسلماتنا الفكرية أو العقدية أو الثقافية، فما جعل الحياة الاجتماعية تنشط بين المسلمين والمسيحيين في ظل الخلافة العباسية هو تعزيز قيمة التسامح انطلاقاً من انتماء مجتمعي واحد، ومحاولة إشراك المجتمع في عملية النمو الحضاري عبر تفاعل مكوناته مع بعضها البعض، ووضع حلول ووسائل تخدم الرقي الحضاري والانسجام الاجتماعي.

المطلب الثالث: العلاقات الدينية بين المسلمين والمسيحيين

تمتع المسيحيون بمختلف طوائفهم النسطورية، واليعقوبية، والملكانية بحياة دينية ملؤها التسامح والحرية من خلال ممارسة شعائرهم، وطقوسهم في أديرتهم،

---

[185] اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، البلدان (مرجع سابق)، ص31.

وكنائسهم في ظل الحكم الإسلامي، ولم يحاول المسلمون إكراههم على دينهم، بل حاولوا التحاور والتناظر معهم في القضايا التي تخص الدين النصراني، والإسلامي، كما حاول كل طرف نشر عقيدته، والدعوة إليها بأسلوبٍ حضاري بعيد عن الصراعات، والأكاذيب التي تقصي الآخر، ولا ننكر بأنه كانت هناك بعض الأساليب النقدية، والدفاعية لدى البعض، لكن يعد هذا العصر عصراً متوازناً للتعددية الدينية، من خلال تفاعلها، وتعايشها في ظل مجتمع واحد.

- الحياة الدينية

خضع المسلمون بمختلف مذاهبهم الحنبلية، والحنفية، والشافعية، والمالكية... لسلطة العباسيين، كما انقادوا للفقهاء الذين كانوا قادة دينيين وموجهين اجتماعيين ومرشدين عقديين، بينما خضع النصارى لرؤسائهم من البطاركة أو الجثالقة في النظم الاجتماعية والدينية؛ وفي حال اختلافهم كانوا يلجؤون للخلفاء؛ لحل خلافاتهم[186]، فقد تمتعوا جميعهم بالحرية الدينية في أبسط الأمور طالما لم يتم التعدي من قبل أي طرف

---

[186] متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، 1940 م، ج1، ص59.

*البيعة: نشير إلى أن هناك فرق بين البيعة، والكنيسة في المصادر، فالبيعة تستخدم مكاناً للتعبد، وإنما الكنيس مكاناً للتعبد لدى اليهود، وهناك بعض المراجع قد استخدمتها كمصطلح واحد في الإشارة للنصارى، أما من جانبنا قد استخدمناه كمصطلح واحد كونه يعني مكاناً للتعبد حسب استخدامه الحالي عند المسيحيين، راجع: عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (مرجع سابق)، ج 1، ص273، وراجع: البغدادي، صفي الدين، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (مرجع سابق) ج 3، ص1183.

على المذاهب والأديان الأخرى، كما كان للمؤسسات الدينية أثرٌ كبير في دعم التفاعل الإيجابي، وأحياناً كان لها أثرٌ سلبي على التعايش والانسجام.

- الكنائس والأديرة

من خلال دراستنا للجانب المسيحي خلال الفترة العباسية الأولى لاحظنا أن كل طائفة في المسيحية قد استقلت عن الأخرى في بطاريكها، وكنائسها، وأديرتها، ومراسيمها الدينية من خلال قول البغدادي في كتابه " فإن كل صنف من النصارى لا يرى الصلاة في بيعة الصنف الآخر"[187]، فكان للمشارقة (النسطوريين) كنائس أو بيع في الجانب الشرقي من بغداد ككنسية دار الروم التي تعد من أكبر كنائس بغداد[188]، وبيعة سوق السواقين[189]، وبيعة سوق الثلاثاء أيضاً في بغداد[190].

وبالنسبة لليعاقبة فلديهم بيعة في دار الروم تقع في الجانب الشرقي من بغداد قد تم ذكرها مع كنيسة دار الروم للنساطرة، وكما امتلك الملكيون بيعاً في بغداد، والمدن الأخرى، حقيقةً الكنائس والمعابد عددها كان كثيراً في ذلك العصر.

---

[187] البغدادي، صفي الدين، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (مرجع سابق)، ج 2، ص561.

[188] المرجع نفسه، 561 (نفس الصفحة السابقة).

[189] LE Strange, G, Baghdad during the Abbasid Caliphate, Oxford at the clarendon press, London, 1900, p.82.

[190] البغدادي، شهاب الدين، معجم البلدان (مرجع سابق)، ج 3، ص281.

حيث سـمح الخلفاء للنصـارى بتشـييدها وترميمها، فنجد أن الخليفة أبو جعفر هارون الرشـيد (ت 193 هـ) أمر ببناء الكنائس التي هدمت افتراءً عليهم في البصـرة، وبعد تأكد الخليفة من ذلك سـمح بإعادتها[191]، مما يثبت إعطاءهم حق ممارسـة الشـعائر الدينية عبر توفير الأماكن المقدسـة دون التعدي على حقوق الآخرين، بالإضـافة إلى ذلك نلاحظ ارتفاع الكنائس في مدينة بغداد أكثر من المناطق الأخرى، وهذا يرجع لكثرة تمركز النصـارى فيها، فوجدت كنائسهم وأديرتهم في المناطق الداخلية والمحاطة ببغداد.

ومن جهةٍ أخرى برزت الأديرة في مدينـة بغداد عند الأماكن التي تطل على الأنهار، والبساتين حتى باتت مكاناً للترويح عن النفس لمختلف أتباع الأديان، فمن ضمن هذه الأديرة دير بستان القس الذي وجد قبل بناء بغداد، وازدهر لاحقاً، بالإضـافة إلى دير كليلشوع (دير الجاثليق)[192] الذي لم يكن يخلو من المتنزهين مثله مثل دير الثعالب.

ودير قوطا الذي وصفه عبد الله بن العباس بن الفضل في شعره قائلاً[193]:

[من البسيط]

"يا دَيرَ قوطا لَقَد هَيَّجتَ لي طَرَبا أَزاحَ عَن قَلبِيَ الأَحزانَ وَالكُرَبا

عبده، سمير، دور المسيحيين في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات دار حسن ملص، دمشق- سوريا، ط1، 2005 م، ص44.[191]

*الدير: هو عبارة عن "بيت يتعبد فيه الرهبان...، وفيه مساكن للرهبان تسمى القلايات"، راجع: البغدادي، صفي الدين، مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (مرجع سابق)، ج 2، ص549-550.

[192] الشابشتي، أبو الحسن علي، الديارات (مرجع سابق)، ص28.

[193] الشابشتي، أبو الحسن علي، الديارات (مرجع سابق)، ص63، وراجع: زيات، حبيب، الديارات النصرانية في الإسلام (مرجع سابق)، ص198،201.

كَم لَيلَةٍ فيكَ واصَلتُ السُرورَ بِها لَمّا وَصَلتُ لَها الأَدوارَ وَالنَخَبا

في فِتيَةٍ بَذَوا في القَصفِ ما مَلَكوا وَأَنفَقوا في التَصابي المالَ وَالنَشَبا

وَشادِنٍ ما رَأَت عَيني لَهُ شَبَهاً في الناسِ لا عَجَماً مِنهُم وَلا عَرَبا

إِذا بَدا مُقبِلاً نادَيتُ وَاطرَبا وَإِن مَشى مُعرِضاً نادَيتُ وَاحَرَبا

أَقَمتُ بِالديرِ حَتّى صارَ لي وَطَناً مِن أَجلِهِ وَلَبِستُ المُسحَ وَالصُلُبا

وَصارَ شَمّاسُهُ لي صاحِباً وَأَخاً وَصارَ قِسّيسُهُ لي والِداً وَأَبا

وتبين أبياته مدى محبة المسلمين للأديرة وأصحابها كونها مكاناً يمرحون، ويتنزهون فيه، ويلتقون أيضاً بغيرهم.

وفي الأصل ترجع هذه الأديرة كمعبد، ومسكن للرهبان الذين يكرسون حياتهم لعبادة الله، وخدمة الناس[194] حتى كانوا محط إعجاب المسلمين، فقال الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي (ت 169 هـ) في أحد الرهبان: " كان صاحب نسك، وورع، لبس الصوف، وعم الناس بإفاضة العدل، والمعروف، وكان يسمى راهب بني العباس لنسكه، وديانته"[195].

---

[194] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت–لبنان، ط 8، 1990 م، ج 10، ص 97.

* وقد أشار الحموي البغدادي إلى وجود أديرة في الإسلام للملكانية، واليعقوبية مثل دير القيارة، إذ ذكر بأن أديرة اليعقوبية والملكانية لديها قائم، بينما أديرة النسطورية لا قائم لها، البغدادي، معجم البلدان (مرجع سابق)، ج2، ص529.

[195] ابن الكازروني، ظهير الدين علي، مختصر التاريخ (من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس)، مطبعة الحكومة، بغداد–العراق، 1970 م، ص119.

وهنا دلالة على الاعتراف بالآخر من قبل المسلمين، والتعرف عليه مثلما ينبغي، والشهادة بالحق على حســـن تعامله، في المقابل من ذلك فإن تعامُل الراهب النصـــراني وخدمته للمسلمين يدل على سماحته، واحترامه لهم أيضاً حتى اعتُبر واحداً منهم.

- المساجد

وكما حرصت الخلافة العباسية على حماية الحرية الدينية لرعاياها من النصارى، كذلك حرصت على الاهتمام بالإسلام والمسلمين حيث أقام الخلفاء المساجد للمسلمين حتى كانوا يتنافسـون في عددها، وعمرانها، من ضـمنهم عبد الله أبو جعفر المنصـور (ت 158 هـ) الذي بنى مسـجداً في الكرخ[196]، بالإضـافة إلى وجود ثلاثة جوامع رئيسـة، وسـبعة آلاف مســجداً في مدينة البصــرة[197]، ومن الناحية الأخرى بني في عهد الخليفة عبد الله المأمون (ت 218 هـ) الجامع الكبير الذي أمر ببنائه أحمد بن طولون في مصــر، كما وجد أيضــاً إبان هذا العصر مسجد سامراء وغيرها من المساجد التي عكست الطراز العباسي في البناء والعمران، وكان من غايات بنائها على طراز رفيع تحفيز المســـلمين على الاجتماع فيها للتعبد، والتعلم، ومناقشة قضايا دينهم[198].

---

[196] البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد (منذ تأسيسها حتى سنة 436 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ج1، ص80. (د.ت)

[197] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991 م، ص117، وراجع: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، البلدان (مرجع سابق)، ص118.

[198] مؤنس، حسين، المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978 م، ص31،84.

- فترات التشدد

وعلى الرغم من توفر البيئة الدينية المناسبة في المجتمع العباسي، إلا أنه لا تكاد تخلو مجتمعات التعدد الديني من فترات التشدد على أهل الأديان بسبب ظروف كل مجتمع، ففي العصر العباسي الأول كانت للعلاقات السياسية الخارجية مع البيزنطيين دورٌ في التشدد مع النصارى، إذ أصدر الخليفة أبو جعفر هارون الرشيد (ت 193 هـ) عام 807 م أمراً بهدم الكنائس بالثغور، وأن يخالف النصارى خاصةً، وأهل الذمة عامةً زي المسلمين في زيهم، وركوبهم[199] بعدما اعتاد البيزنطيون نقض عهودهم كثيراً مع المسلمين.

وكما تبين لنا أن هذه الحالات الاستثنائية تحكمها ظروف العصر، وهي من جهة ليست أحكاماً دينية أصيلة، وإنما سياسية أملتها الظروف المحيطة، فما أدى إلى التشدد في الفترة العباسية هو انتشار الجواسيس الذين أضروا بمصلحة الجميع، فما كان أمام الخلفاء سوى حماية أمن الدولة العباسية.

وعلى النقيض من ذلك حينما حاول المسلمون عام 797 م تحريض الخليفة أبو جعفر هارون الرشيد (ت 193 هـ) على هدم كنائس النصارى لأن ملك الروم يصلي فيها دون أن يعلم أحد، تدخل حينها مستشار الخليفة ونفى هذا الادعاء، فطلب الخليفة بضرب المدعين، وطردهم دون السماع منهم[200]، وهذا ما يثبت أن ما يحدث للنصارى هو نتاج

---

[199] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (مرجع سابق)، ص1697. (د.ت).

[200] رستم، أسد، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021 م، ج 2، ص128.

الأفعال الفردية التي تسبب الأذى للجميع، وليس كرهاً من قبل المسلمين لهم، فالعدل كان أولوية بالنسبة للخلافة الإسلامية.

وعلى غرار ذلك مر المسلمون بفتراتٍ عصيبة تشكلت في محنة مسألة خلق القرآن أيام الخليفة عبد الله المأمون (ت 218 هـ) حينما قال المعتزلة بأن القرآن مخلوق، وأرادوا أن يقول المجتمع بذلك الرأي حتى عذب وقتل من قال بغير ذلك مما جعل العامة من الفقهاء والمسلمين ينقسمون لفريقين[201]، وكانت من أشد المحن التي مرت عليهم في ذلك العصر بالتزامن مع الأحداث الأخرى من فتنة الخليفة الأمين والخليفة المأمون، لذا فترات التشدد طالت الجانبين النصراني، والمسلم بحسب المواقف النابعة من علاقات سياسية أو سوء تصرف فردي من الإدارة أو بسبب اختلاف شخصيات الخلفاء، لأن مثل تلك الفتن بشأنها أن تهدم الدولة بأكملها بعدما حرصت الخلافة الإسلامية بكل ما استطاعت من سبل على تشييدها بصورة مرموقة.

- المظاهر الدينية

تتجلى المظاهر الدينية في حرية ممارسة الشعائر، والطقوس الدينية بالإضافة إلى احترام هذه الطقوس من قبل الآخر، ففي عام 148هـ عندما مرض الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصور (ت 158 هـ)، وعالجه الطبيب النصراني جورجيس (ت 152 هـ) كافأه الخليفة بالجواري الحسان، والأموال الطائلة، لكن الطبيب رفض وأمر تلميذه بأن يردهم.

---

[201] للمزيد من المعلومات في محنة خلق القرآن راجع: أمين، أحمد، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط9، 1978 م، ج 3، ص161-186.

فسـأل عبد الله المنصـور الطبيب عن السـبب فأجابه "لا يجوز أن يكون مثل هؤلاء في منزلي، لأنا معشـر النصـارى لا نتزوج أكثر من امرأة واحدة، ما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها"[202] حينها ارتفعت مكانته عند الخليفة لتمسـكه بعقيدته، وعفته، وقد قابل الخليفة ذلك باحترام دينه.

وفي عام 225هـ حينما توفي سـلموية بن بنان طبيب الخليفة أبو إسـحاق محمد المعتصـم (ت 227 هـ) امتنع عن الطعام حزناً عليه، وأمر بأن تقوم جنازته في الدار، وأن يقوموا بالصـلاة عليه بالطقوس الجنائزية النصـرانية (بالشـمع والبخور) حينذاك بقي يشـاهدهم[203]، مما يصـور هذا المشـهد احترام المسـلمين معتقدات الآخر بناءً على حريته الدينية دون وجود أحقاد؛ لاختلاف دينه عنهم، بل كان التعرف على الآخر من خلال التحاور معه هو أساس ذلك العصر.

- الحوارات الدينية

استند المسلمون في حواراتهم الدينية مع المسيحيين على المنطق، والرجوع إلى كتبهم التي يقدسـونها، ومع ازدياد الحوارات، والمناظرات التي دارت بينهم في ذلك الوقت أصـبحت الحياة الدينية شـغفاً، وملتقى للتعارف، والتفاعل الثقافي بين الطرفين، خاصـة بأنهم مع كل مسألة تعجز عليهم يذهبون ويتثقفون فيها، ومن ثم يرجعون للتحاور.

---

[202] القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص123.

[203] المرجع نفسه، ص160.

*ومن باب الحرية في الاحتفالات الدينية، والمراسيم، لم يتدخل المسلمون في احتفالاتهم، فكانوا يقضون يوم الشعانين في دير الجاثليق، ويتجهزون له، ويسيرون وسط المسلمين بحرية، راجع: القفطي، المرجع السابق، ص153.

وفي ذات يوم حاور الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصـــور (ت 185 هـ) الطبيب جورجيس (ت 152 هـ)؛ يسأله إذا ما كان الله يسمع صلوات الأساقفة، ويستجيب لهم، فلم لا يسألونه عن قتل عيسى، فأجابه بأن دعاءهم قد نفي، ولا يعرف لهم خبر[204].

ومن جانبٍ آخر اعتاد رؤســـاء النصـــارى على ارتياد دواوين الخلفاء ومجالســـهم للتحاور، والتناظر معهم من أبرزهم الجاثليق طيمثاوس الأول (ت 823 م) الذي كان يســـتدعيه الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي في معظم الأوقات للتحاور معه، من هذه الحوارات حوار دار حول خصائص الإسلام، وخصائص المسيحية البولسية، وقد كان الخليفة يســـتدرج طيمثاوس الأول للتناظر معه عبر إثارة آراء المســـلمين التي تخالف المسيحية، وتكون في صلب موضوعاتها، فكان طيمثاوس يحاول الرد بطرق دفاعية، ونجد هذه اللقاءات منقولة في رسائله[205].

ومن خلال تعايش المسلمين مع النصارى نشأت الفضولية لدى البعض حول التعرف على الدين، وكتبه المقدسة، فحكى جبرائيل أنه يوماً ما دخل على الفضل بن سهل ذي الرئاستين بعد إسلامه، وكان يقرأ القرآن، يقول فسألته كيف ترى كتاب الله؟، فقال: طيب، مثل كليلة ودمنة[206] .

---

[204] بن سليمان، ماري، أخبار بطاركة كرسي المشرق (مرجع سابق)، 69.

[205] غريفث، سيدني، الكنيسة في ظل المسجد- المؤسسات الكنسية تحت حكم الإسلام، ترجمة/ هشام شامية، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت-لبنان، ط1، 2018 م، ص 124-125، وللمزيد من المعلومات راجع:
ABDIEL HARMAKAPUTRA, HANS, Muslim-christian Debates in Theearly 'Abbasid Period: The Cases of Timothy I and Theodore Abu Qurra, MIQOT, VOL38-NO.2, Indonesia, 2014.

[206] القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص111.

وبتفاقم الحوارات الدينية نهج المتحاورون طريق الدعوة إلى الدين عبر نقاشـــاتهم، ولقاءاتهم الاجتماعية، ففي عام 152هـ مرض طبيب الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصـور جورجيس.

ومع اشـتداد مرضــه ذهب عبد الله المنصـور ليطمئن عليه، وقال له: "ياجورجيس اتق الله، وأسلم، وأنا أضمن لك الجنة، فرد الطبيب: رضيت حيث آبائي في الجنة أو النار"[207] ضـحك المنصـور من قوله، ومازحه في أمور أخرى، ويتضـح أن رغبة دعوة عبد الله أبي جعفر المنصـور لجورجيس نابعه من حسـن المعاشـرة، والمحبة، والدعوة لم تكن من باب الفرض والإجبار، فاتبع معه الأسلوب الحسن، وعند رفضه احترم رغبته، وأكرمه.

وفي حوارٍ آخر عرض الخليفـة أبو عبـد الله محمـد المهـدي (ت 169 هـ) على جورجيس الراهب، وحنانيشـــوع الإســـلام أثناء ذهابهما إليه، فامتنع الراهب، بينما الآخر رفض بذكاء متحججاً بأنه لا يعرف العربية، حينها استحسن أبو عبد الله محمد المهدي ردة فعله، فسـألهما فيما بعد عن نوع الخشـب الذي صـنعت منه عصـا موسـى، واسـتمع لإجاباتهم؛ حتى حكم لجورجيس بالعلم، بينما لحنانيتشـوع بالبهاء، والوقار، والشــيبة[208]، وهذا الدليل يدحض قول جان موريس[209] بأن الخليفة انزعج من رفض جورجيس الراهب الدخول في الإسلام، فقد احترم رغبتهم، وأكمل مناقشة قضيتهم حول كرسي الجثلقة.

---

[207] القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص124.

[208] بن سليمان، ماري، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (مرجع سابق)، ص70-71.

[209] فييه، جان موريس، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة/ حسني زينة، دار المشرق، بيروت-لبنان، ط1، 1990 م، ص71.

ولـم يكـن نشـر الـدين علـى المسـتوى الـداخلي فقـط، وإنمـا شـمل أيضـا المسـتوى الخـارجي مـن خـلال خطـاب الخليفـة أبـي جعفـر هـارون الرشـيد إلـى الامبراطـور البيزنطـي قسـطنطين السـادس (ت 797 م) يعـرض عليـه فيـه الإسلام[210].

وفي ذات السياق اتبع المسلمون والمسيحيون الوسائل الكتابية في نشر الدين، والدفاع عنه، فكتب المسلم أبو موسى المردار (ت840 م) كتاباً ضد أبي قرة النصراني، كذلك كتب أبو الهذيل كتاباً بعنوان (في الرد على النصارى) ضد عمار النصراني[211].

وقد استخدمت أيضاً المراسلات والمخطوطات بين المسلمين والنصارى في نشر الدين، والدفاع عنه أبرزها رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي التي كتب فيها عن العقيدة الإسلامية وأركان الإسلام الخمسة إلى النصراني عبدالمسيح بن إسحاق الكندي، والذي رد عليه برسـالة دفاعية عن المذاهب، والممارسـات المسـيحية[212]، ولم تخل في الحقيقة المراسلات من الجدل حول رموز الأديان وعقائدها، فبعضـهم اتبع المنهج الأرسـطي في أطروحات للدفاع عن دينه، وأخذت هذه الأطاريح الفلسـفية الدفاعية طريق الانتشـار في الحقب التي تلت العصر العباسي الأول.

---

[210] See: Dunlop, D.M, In Memoriam Paul kahle-part of (A Letter of Harun AR Rashid to the Emperor Constantine VI), middle East Institute, published by De Gruyter, Berlin, 1968. نص الخطاب باللغة الإنجليزية

[211] غريفث، سيدني، الكنيسة في ظل المسجد– المؤسسات الكنسية تحت حكم الإسلام (مرجع سابق)، ص153.

[212] المرجع نفسه ص199.

ممـا تقـدم رأينـا كيـف كانـت الحيـاة الدينيـة ملؤهـا التعـايش، والتعـارف، والتفاعـل الإيجـابي، وكـذلك التـدافع بـين أصـحاب الأديـان، والأهـم أن التفاعـل فيهـا كـان بصـورة مباشـرة دون تـدخل لأي ظـروف أو أحكـام سـابقة فنجـد أن كـل فـرد صـنع تصـوره عـن الآخـر بنفسـه، وتعامـل معـه بنـاءً علـى ذلـك، بالإضـافة إلـى أن الحيـاة الدينيـة فـي تلـك الفتـرة أدت إلـى تقويـة روابـط الاجتمـاع الإنسـاني، وبنـاء قواعـد التعـايش، وهـو الأمـر الـذي سـمح بنشـر ديـن الإسـلام، والـدعوة إليـه بـالتي هي أحسن، وذلك مقصد من مقاصد التفاعل الحضاري.

المطلب الرابع: التفاعل بين المسلمين والمسيحيين في المجال العلمي

اقترن عصر الخلافة العباسية بلقب العصر الذهبي في الحضارة الإسلامية، وذلك لما شـهده من تطور، وتقدم في الحركة العلمية، لقد طلب المسـلمون العلوم من شـتى بقاع الأرض، واستثمروا فتوحاتهم في خدمة العلم، والبناء الحضـاري، فاحتكوا بالثقافات الأخرى؛ ليتعرفوا عليها، ويوسـعوا مداركهم الفكرية والمعرفية، بيد أنهم كانوا بحاجة إلى العلوم الدنيوية؛ لتجاور العلوم الدينية في نفوسـهم، فمن خلالها قاموا بضـبط مواقيت الصـلاة، وابتكروا المنافع التي تنمي مجتمعاتهم عبر وسـائل النقل والترجمة، وإنشـاء المعاهد والمدارس، بالإضـافة إلى الاندماج، والتعايش مع أهل العلوم من البلدان الأخرى.

- **أولاً: النقل والترجمة**

بدأت حركات النقل، والترجمة منذ الخلافة الأموية، وقد نشـــطت أثناء فترة الخلافة العباسـية، بسـبب اهتمام الخلفاء بدعم الحركات العلمية بمختلف الوسـائل من ذهب، ومال، وهدايا ثمينة، ومناصـب عليا؛ مما حفز الناس من مسـلمين، ومسـيحيين على المشـاركة في هذا المجال، فكان المسـيحيون من السـريان هم أبرز من برع في إنتاج المنقولات، والترجمات للعلوم اليونانية، فأتقنوا لغة اليونان، واللغة السريانية، واللغة العربية، لذلك ازدهرت العلوم في مناطقهم كنصيبين، وجنديسابور[213].

أما بالنســـبة لحركة النقل والترجمة فقد كانت على عدة مراحل؛ ونعرض في هذا البحث أهم المراحل التي شملت العصر العباسي الأول:

أ. الطور الأول (بداية من عام 136 هـ حتى عام 193 هـ):

حرص المسـلمون على البحث عن المصـادر الأصـيلة للعلوم، فكانوا يراسـلون الأباطرة، والملوك لطلب المخطوطات، والمصـــادر التي يمتلكونها، وأبرز من قام بذلك هو الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصـــور (ت 158 هـ) الذي ترجمت في عهده علوم الرياضـــيات، والعلوم الهندية، والعلوم المنطقية، ومثال على تلك الكتب كتاب كليلة ودمنة، وكتاب الهند والسند، وكتب أرسطو[214] عن طريق عدة مترجمين منهم:

---

[213] ابن أبي أصبيعة، موفق الدين عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1996 م، ج 1، ص43.

[214] ابن أبي أصبيعة، موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (مرجع سابق)، ج 1، ص36، وقد استعنت بتقسيم مراحل الترجمة من كتاب:

علي، عصام الدين، بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة (مرجع سابق)، ص57.

- عبد الله بن المفقع (ت 142 هـ): تفوق عبد الله بن المفقع في تمثيل الأمة الإسلامية بترجماته للكتب الفارسية، والمنطقية في ظل عصر الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصور (ت 158 هـ)، فقد عُرِف ببلاغته، ووضـــوح ألفاظه، وإتقانه للغة الفارســـية، واللغة العربية، كما كانت له عدة ترجمات مثل كتاب مزدك، وكتاب كليلة ودمنة، وكتاب اليتيمة في الرسائل[215]، وبعض من الكتب المنطقية كأنا لوطيقا (القياس)، وقاطيغورياس (المقولات)[216]، وكان لها أثر كبير في تطور الفكر الفلسفي العربي.

- يوحنا بن ماســـويه (ت 200 هـ): يعد يوحنا بن ماســـويه من أبرز الأطباء المترجمين السريانيين الذين عاصروا، وخدموا الخلفاء العباسيين مثل هارون الرشيد، والأمين، والمأمون، فقد اختص يوحنا في مجال الترجمة بترجمة الكتب الطبية، فكان الخليفة أبو جعفر هارون الرشيد (ت 193 هـ) إذا افتتح بلاد الروم اســـتدعى يوحنا لترجمة الكتب الموجودة فيها، ولشـــدة براعته في مجاله، عُين أميناً على الترجمة، وعمل في ظله العديد من الكتبة الماهرين بأمرٍ من الخليفة أبو جعفر هارون الرشـــيد (ت 193 هـ)، وله من الكتب كتاب الفصـــد والحجامة، وكتاب الســـواك والسنونات، وكتاب السدر والدوار[217].

ب. الطور الثاني (بداية من عام 198 هـ حتى عام 300 هـ):

بلغت حركات النقل والترجمة قوتها في ظل الخليفة عبد الله المأمون (ت 218 هـ)، فكان عصـــره آنذاك بحراً من العلوم، لغزارة علمه، وثقافاته المختلفة، ولعل اهتمام الخلفاء

---

[215] ابن النديم، الفهرست (مرجع سابق)، ص172.

[216] القفطي، جمال الدين، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص170.

[217] ابن النديم، الفهرست (مرجع سابق)، ص411-412.

العباســـيين بالمجال العلمي مهد الطريق لهذه المرحلة، إذ كان المأمون يبذل الأموال الطائلة في سـبيل العلم، والتعلم، فقدم له العلماء من كل مكان، وحرصـوا على نقل العلوم بدقة عالية، وضـبط للعبارات، وتحقيق للمقاصـد، ولم تكن مهمة النقل يسـيره عليهم، لذلك كرس البعض حياته في سبيل نقل العلوم، وإنتاج المبتكرات الجديدة.

ومن أكثر العلوم التي برزت في هذا الطور هي العلوم اليونانية، لتكليف الخليفة عبد الله المأمون (ت 218 هـ) النقلة والمترجمين بهذه المهمة[218]، فكان منهم:

- حنين بن إسحق (ت 260 هـ): أحد أعلام الترجمة في العصر العباسي الأول، وهو من تلاميذ يوحنا بن ماسـويه، لقد برع بن إسـحق في معرفة العلوم المترجمة، ودقة نقل المعاني للغة السريانية، واللغة العربية، فقال عنه ابن أبي أصبيعة "أصاب الفكرة، وصحة الاستدلال، والتعابير المنمقة"[219]، والجدير بالذكر أنه لازم الخليل بن أحمد في البصـــرة حتى أصـــبح ماهراً في اللغة العربية[220]، فرأى أن تعلمه للغة العربية لم يكن ســـوى هبة مُنِحت له من الإله حتى يقوم بمهمة نقل العلوم إليها[221]، فترجم ما يقارب الثمانية وخمســـون كتاباً لجالينوس، وكتب قاطيغورياس من الرومية إلى العربية،.

---

[218] يرجع سبب اهتمام الخليفة عبد الله المأمون بالعلوم اليونانية بالتحديد كتب أرسطو إلى رؤيته في منامه، إذ كان يحثه أرسطو على طلب العلم، ويمكن الرجوع إلى نص الحوار في: خليل، سمير، دور المسيحيين في النهضة العباسية في العراق وسوريا–من كتاب المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت–لبنان، ط1، 2001 م، ص497.

[219] ابن أبي أصبيعة، موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (مرجع سابق)، ج 1، ص47، وراجع: ص45-48.

[220] القفطي، جمال الدين، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص132.

[221] خليل سمير، دور المسيحيين في النهضة العباسية في العراق وسوريا-من كتاب المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مجلس كنائس الشرق الأوسط (مرجع سابق)، ط1، ص498.

بالإضـافة إلى بعض المصـنفات التي ترجمها إلى اللغة السـريانية، وجاء من بعده ونقلها إلى اللغة العربية[222].

- قسـطا بن لوقا (ت 300 هـ): من فلاسـفة النصـارى الذين ارتحلوا من مكانٍ إلى آخر للحصـول على مصـادر العلوم، حيث برع في علوم الفلك، والهندسـة، بالإضـافة إلى العلوم الطبية، وقام بنقل الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، كما كانت له مصـنفات عدة مثل كتاب المدخل إلى الهندسة، وكتاب الفرق بين النفس والروح[223].

إن الترجمة لم تكن بالنسبة للمسلمين نقل العلوم من لغة إلى أخرى، وتطبيقها، بل كانت لهم نظرة مسـتقبلية في أهمية تلك العلوم لبناء الحضـارات، ولكن ما لاحظناه أنهم عرفوا جيداً كيفية اقتباس المعارف وصـياغتها حسـب ما يناسـب الدين الإسـلامي، لذلك لم ينهاروا، وتطوروا.

ونشـير إلى أهمية تعاون المسـيحيين مع المسـلمين في نقل وترجمة العلوم من اليونانية، والسـريانية إلى اللغة العربية، ليشـكلوا بذلك دوراً هاماً في بناء الحضـارة الإسلامية عبر تفاعلهم فيها، ولهذا انتشرت العلوم فيما بعد إلى الأمم الأخرى.

---

[222] القفطي، جمال الدين، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص33-35.

[223] القفطي، جمال الدين، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص199.

- **ثانياً: المدارس العلمية**

تعددت الأماكن التي تلقى فيها المســـلمون، والمســـيحيون العلوم المختلفة خلال العصـر العباسـي الأول منها المدارس، والمعاهد، ومجالس العلم، فقد درسـوا فيها العلوم الدنيوية من الطب، والفلســـفة، والفلك، والرياضـــيات وما إلى ذلك، بينما العلوم الدينية تضمنت العلوم الإسلامية من علم تدوين الحديث، وعلم الفقه، وأما المسيحيون تلقوا علم اللاهوت، وشروحات الكتاب المقدس، وأشهر هذه المدارس:

أ. مدرسة جنديسابور: تعد مدرسة جنديسابور بؤرة العلم السرياني التي اختصت بعلم الطب، والفلسفة في مدينة جنديسابور منذ عام 530 م، والتي تقع في إقليم الأهواز أو خوزستان، حيث ترأس المدرسة جورجيس بن بختيشوع (ت 152 هـ) في ظل حكم الخليفة المنصور (ت 158 هـ)، وقد خرّجت أمهر العلماء من الأطباء على أيدي النساطرة، وساهمت في مد الدولة الإســـلامية بالعديد من الموظفين، والكتبة، والأطباء، والمعلمين مثل عائلة آل بختيشوع الذين خدموا معظم خلفاء العصر العباسي الأول[224].

[224] عبده، سمير، دور المسيحيين في الحضارة العربية الإسلامية، (مرجع سابق)، ص44، وقد تحدث المستشرق ماكس مايرهوف في دراسة له عن أهمية تلك المدارس في انتقال العلوم اليونانية إلى المسلمين، يمكن الرجوع إلى ترجمة: بدوي، عبد الرحمن، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (دراسات لكبار المستشرقين)، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1940 م، ص37-100.

كما كانت هناك بعض المدارس النسـطورية التي ألحقت بالأديرة لتشـمل البرامج الدراســية فيها علوم الدين، والعلوم المادية من النحو، والبلاغة، والمنطق، ومثال على ذلك مدرسة دير مارفثيون في بغداد[225].

ب. بيت الحكمة: أنشئ بيت الحكمة من قبل المسلمين عام 830 م في بغداد على يد الخليفة أبي جعفر هارون الرشــيد (ت 193 هـ)، وطوره الخليفة عبد الله المأمون (ت 218 هـ) إبان عصره، فكان أغلب من يعمل فيه من المعلمين، والموظفين المسيحيين من السريان، وأيضــاً الفرس، واختص بيت الحكمة بداية بالترجمة، والتأليف، ومن ثم أصــبح فيما بعد مركزاً لتلقي العلوم المختلفة، وقد عين ماســـويه بن يوحنا (ت 200 هـ) أميناً على الترجمة، وخلفه حنين بن إســـحق (ت 260 هـ) ليتولى رئاســـة بيت الحكمة[226]، ومن الجدير بالذكر وجدت أكبر مكتبة في عصر المسلمين ببيت الحكمة، والتي احتوت على مختلف الكتب المأخوذة من البلاد الأخرى.

ويعني ذلك أن المسـلمين والمسـيحيين تعاونوا على تلقي العلوم وتدريسـها لبعضـهم؛ مما أسهم في تخريج العلماء، والتصانيف المبتكرة، فالتسلسل التاريخي بدايةً من مجالس العلم، والحوارات في دور الخلفاء مهد للبحث عن الثقافة، والعلوم باســـتخدام النقل،

---

[225] خليل، سمير، دور المسيحيين في النهضة العباسية في العراق وسوريا– من كتاب المسيحية عبر تاريخها في المشرق (مرجع سابق)، ص494.

[226] قنواتي، جورج، المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، ص94. (د.ت)، ويمكن الرجوع لكتاب: ابن أبي اصبيعة، موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (مرجع سابق)، ج 1، ص37.

والترجمة، مما شـــجع الناس على تعلمها عبر المدارس، ونتج عن ذلك ابتكار منافع جديدة قادت الحضارة الإسلامية إلى الرقي.

- **ثالثاً: ابتكار العلوم الجديدة**

ولما اختص المسلمون، والمسيحيون في العلوم عن طريق الترجمات، والمدارس أرادوا أن يخوضـــوا تجربة جديدة تســـهم في ريادتهم متمثلة في عالم التأليف، وإنتاج المبتكرات العلمية، فعلى غرار ذلك ظهر العديد من المختصين في علم الفلك، كالعباس بن سـعيد الجوهري (ت 245 هـ)، والذي كان له دور فعال في الرصـد المأموني برفقة خالد بن عبد الملك، ويحيى بن أبي منصور، وآخرون[227].

وكما برز أيضـــاً في هذا المجال محمد بن إبراهيم الفزاري (ت 180 هـ)، والذي اســـتفاد من كتب الكواكب في الهند، فقام بترجمتها، ومن ثم ألف مصـــدراً جديداً في حركات الكواكب باللغة العربية أطلق عليه المنجمون (السند الهند الكبير)[228].

أما في مجال الطب فقدّم على بن سـهل بن رَّبن الطبري (ت 248 هـ) أقدم كتاب لفنون الطب، والصيدلة يدعى بـ (فردوس الحكمة)، فقد كان بداية رئيسة لتشجيع العلماء على إنتاج المؤلفات الطبية مثل مؤلفات الرازي، وابن ســـينا، كما نجح المســـلمون في ابتكار طرق علاجية، وجراحية ســـاهمت في تطورهم ســـريعاً منها تفتيت الحصـــاة في

---

[227] القفطي، جمال الدين، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص170.

[228] القفطي، جمال الدين، إخبار العلماء بأخبار الحكماء (مرجع سابق)، ص205.

المثانة قبل استخرجها، ومن شدة مهاراتهم أنشئت على أيديهم مئتين وخمسون مدرسة لعلوم الطب في البلاد الإسلامية[229].

وفي ذات السياق نشأت علوم أخرى استفادت من علوم الأمم السابقة؛ كعلم الكلام الذي استُعين فيه بالفلسفة اليونانية، ومن أسباب نشأة هذا العلم هو دحض حجج الخصوم التي تستخدم الفلسفة في نقد الدين خاصة النصارى، واليهود، فكان لا بد من وجود علمٍ يستخدم الأساليب المشابهة لكن بمبادئ إسلامية، لذا استخدمه بعض المسلمين في الحوارات العقدية عبر اللجوء للأدلة العقلية، ومن المتكلمين بهذا العلم هم المعتزلة كأبي هذيل العلاف (ت 235 هـ)[230].

وفي الحقيقة اقتباس المسلمين للفلسفة اليونانية هو اقتباس لطريقة علم الفلسفة أي معرفة كيفية استخدامها كأداة تفيد الدين الإسلامي، فلا يعني أنهم حكَّموا عقولهم بينهم وبين أنفسهم في الوحي، وإنما حججوا الآخر الذي لا يؤمن بالوحي بنفس طريقته؛ لذلك أنشئوا علماً جديداً حسب الأصول الإسلامية.

---

[229] ابن أبي أصبيعة، موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 1، ص60-61.

[230] للمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى: أمين، أحمد، ضحى الإسلام (مرجع سابق) ج 3، ص4-11.

المبحث الثاني: كيفية الاستفادة من العصر العباسي الأول في الواقع المعاصر

المطلب الأول: الإصلاح الداخلي للفرد يقود لصلاح المجتمع الإسلامي

حينما خلق الله الإنسان على هذه الأرض أمره بعبادته وعمارة أرضه بكل ما ينفعها، وفي ذات الوقت حثه على الاستفادة من خيراتها، أي أن العملية أخذ وعطاء، لكن عندما طمع الإنسان في منافع هذه الأرض؛ اتبع شهواته ومصالحه فقط دون عطاء، فأتاح الفرصة لانتشار الفساد، حينها بدل الله الإنسان بغيره، ومع ذلك ظلت الغاية من خلق الإنسان ثابتة لم تتبدل، فأشار الله تعالى للإنسان أن يعتبر ويتعظ من الأمم السابقة؛ لكيلا يقع في ذات أخطائهم.

ويعني ذلك أن الإنسان كفرد هو طريقٌ لصلاح الأمة أو فسادها حتى بعد رحيله؛ لأنه إما يترك أثراً طيباً ينمي به المجتمع، وإما يترك فساداً يسقط به المجتمع، فمع كل ما نعيشه اليوم من تأخر حضاري، ورضوخ للآخر الغربي يبقى السبب راجعاً إلى نفس المسلم أولاً؛ لذلك لابد من الاستفادة ممن سبقونا لنعيد أمجاد الأمة الإسلامية، وهذا لن يتم إلا عن طريق إصلاح الفرد من جديد.

وبناءً عليه نشير إلى أهم الإشكاليات التي يعاني منها المسلم المعاصر كونها معوقاً للتفاعل الحضاري:

- **أولاً: التعصب الديني ضد الآخر**

لا تخلو المجتمعات عبر التاريخ من فكرة التعصب، فإما يكون التعصب لفكرة ما، أو لرأي، أو لعائلة، أو لقبيلة أو حتى عقيدة، فهو يكاد يعبر عن ذات الشخص التي يدافع من خلالها عن انتمائه أو فكره، لكن يكمن الخطر في التعصب حينما تسوده حاله من الإكراه، فيصبح الفرد لا يرى سوى ذاته، مما يؤدي ذلك إلى معاناته من التأخر الحضاري بسبب استعلائه، وانعزاله.

فهناك فرق بين التعصب الديني، وبين التمسك بالدين والاعتزاز به كما كان في العصر العباسي الأول، فقد تمسكوا بدينهم واعتزوا به داخل مجتمعهم، فسار المسيحيون على قوانين المسلمين المنبثقة من الشريعة الإسلامية، وعلى الرغم من ذلك أسلم بعضهم حينما شاهدوا القوانين العادلة، وتعاملوا بعينهم مع المسلمين، فكان اعتناقهم للإسلام رغبة منهم لا إكراه من أحد.

على عكس مسار التعامل مع الآخر في الوقت الحالي، فلا بد من أن يكون اتجاهه الأول أن يبين ما حقيقة هذا الدين؟ وما الذي يدعو له؟ بوسائل تصل للغير بصورة واقعية دون شعارات تقليدية أو عصبية تقصيهم وتهمشهم.

ولأن أحد إشكالياتنا الكبرى تكمن في عدم معرفة كيفية التعامل مع الآخر غير المسلم، إذاً كان علينا التطرق لبعض المقترحات التي بإمكانها معالجة فكرة التعصب الديني وأبرزها:

1. التأصيل الصحيح لمفاهيم الدين الإسلامي.

2. غرس القيم الأخلاقية في نفوس المسلمين

3. الأمة الإسلامية بحاجة إلى الشعور بروح العزة.

1. التأصيل الصحيح لمفاهيم الدين الإسلامي

لقد قال الله تعالى في كتابه الكريم "لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ "[231]، التغيير لا بد من أن يبدأ من النفسِ أولاً حتى نستطيع تغيير المجتمع ومن ثم الأمة، للوصول إلى الحضارة الإنسانية.

إن ما مر به المسلمون من فتراتٍ عصيبة عبر التاريخ غيرت من مفاهيمهم وتصوراتهم للإسلام الأصيل، فمع كل حدث عظيم كان يتغير فكرهم أكثر من السابق، مثال على ذلك الحروب الصليبية والتي حينها انحرف المسلمون عن دين الإسلام الحقيقي، وابتدعوا مفاهيم وشعائر جديدة، فأصبح الدين بالنسبة للبعض إما عبادة لا بد منها دون الشعور بروحانياتها، وإما عادة أحياناً تعرقل أوقاتهم متناسيين ارتباطها الوثيق بالآخرة[232].

وقد حلت العادات والتقاليد في مكانة ارتفعت بها عن الدين في نفوس الناس وتخللت بها أمثال، وأقاويل تتصادم مع المفاهيم الحقيقية للدين

---

[231] سورة الرعد، الآية 11.

[232] قطب، محمد، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1997 م، ص8-11.

الإسلامي منها (كثرة السلام يقلل المعرفة) وهذا مثل تقليدي يتعارض مع قول النبي صلى الله عليه وسلم في رواية لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول فيها "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ الإسْلَامِ خَيْرٌ؟ قالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلَامَ علَى مَن عَرَفْتَ ومَن لَمْ تَعْرِفْ"[233] (صحيح البخاري)، فكثرة السلام فيه بركة وخير ويقوي من أواصر المسلمين لا يقلل منها، وغيرها الكثير من الأمثال والعادات التقليدية التي اتبعها بعض الناس أكثر من الدين الإسلامي.

على عكس أصحاب التاريخ الإسلامي الذين تميزوا بتمسكهم بالإسلام بشكلٍ أقوى من الوقت الراهن، وإن كانوا قاموا ببعض المخالفات الصريحة، لكن لا يسعنا إلا أن نتعلم ممن سبقونا في تفاعلهم، ونتفادى أخطائهم حتى لا نتخلف عن الركب الحضاري.

وقد وضح محمد قطب الأزمة التي تعانيها الأمة الإسلامية بسبب عدم تمسكها بالإسلام بتطرقه لمفارقة بين حركات النقل في العصر الإسلامي السابق، وحركات النقل في العصر الحالي، فيرى أن العصر الإسلامي السابق هو الأقوى والمتحكم لأنه تمسك بعقيدته، وإيمانه فنقل ما كان بحاجة إليه، وغض البصر عما يتعارض مع الدين[234].

---

[233] صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، حديث رقم 5907.

[234] قطب، محمد، واقعنا المعاصر (مرجع سابق)، ص12.

أما في العصر الحالي تخلى المسلمون عن الدين عند نقلهم من الآخر عبر اللامبالاة به، فنقلوا من الغرب كل ما هو لديهم دون وعي، حتى أصبحوا في حالة من التأخر الحضاري لانبهارهم بالزائف، فالغرب في هذه الحالة هو المتحكم بهم[235]، ولا يعني هذا أنه لا يوجد أي بصيص من الأمل، على العكس تماماً إن الشباب بات لديهم شعور بالنقص الروحاني، لذا نجد البعض منهم يتجه للبحث عن حقيقة الدين، وما علينا هنا إلا أن نقوم بدور الداعم الأول في التأسيس السليم عن الدين الإسلامي الحقيقي من خلال:

1. إنشاء فرق علمية لنقل أمهات الكتب الإسلامية بلغة بسيطة يستطيع فهمها عامة الناس.
2. إقامة حملات توعوية ابتكارية في دحض الشعائر والمبتدعات التي لا تمت للدين الإسلامي بأي صلة.
3. إحياء المناسبات الدينية عبر الفعاليات التي تتضمن مشاركة المجتمع، واستثمارها في التعريف بالمفاهيم الدينية الحقيقية للإسلام.
4. إقامة مجالس الذكر لفئة الجيل الناشئ، لأنهم الفئة المؤثرة في حركات النقل الحاضرة.
5. البعد عن أسلوب التهكم، والعصبية أثناء تعليم أصول الدين، وتحفيز الناس على السؤال حول ما استشكل عليهم.

---

[235] المرجع نفسه (نفس الصفحة).

6. توظيف أفراد في وسائل الإعلام الجديد للتفاعل مع الآخرين بالكلمة الطيبة.
7. تشجيع الأفراد على إقامة حوارات دينية لسماع أفكار المسلمين بعضهم البعض، ومن ثم الرجوع إلى المصادر الأصلية للحكم في الحوار، وهو بمثابة ومحاكاة وتدريب على الحوارات مع الآخرين والسماع منهم دون تعصب للمعتقدات الفردية، والالتزام بالمصادر الأصلية عند الاستدلال.

2. غرس القيم الأخلاقية في نفوس المسلمين

تعد القيم الأخلاقية أحد دعائم المجتمع، فهي صفة ملازمة للدين، لأن الدين يحسن من أخلاقيات الناس، والقيم تبنى عليها سلوكيات الأفراد، وتجعلهم يميزون بين ما هو صواب، وبين ما هو خاطئ، حيث تقع أهمية القيم الأخلاقية في العلاقة مع الآخر حيث إنها توازن بين مصالح الأطراف دون أن يكون هناك تعدٍ، أو تنافي مع الدين، إذ أن الأخلاق هنا سمة مشتركة تعزز لها الأديان كالخير، والحرية، والعدل، والاحترام، والصدق، والتسامح، والمحبة[236]، ولا تقتصر على الأديان فقط وإنما تشمل الإنسانية جمعاء.

وللأسف يشكل التقدم الذي نعيشه خطراً على المجتمع الإسلامي، لأنه يسلط ضده حرباً فكرية، وأخلاقية من خلال التطور السريع، فهو يحاول سلب الجانب الأخلاقي لدى المسلمين، ويعزز في نفوسهم أهمية القيم المادية التي

[236] راجع: الزيد، حصة عبد الكريم، مدى تأثر القيم الأخلاقية بالتغيرات المعاصرة بالمجتمع السعودي ودور الدعوة في المحافظة عليها، مجلة كلية التربية–جامعة الأزهر، مصر، ع174– ج1، 2017 م.

تساعد على الحياة، فمن دونها لن يستطيع الإنسان العيش في رضا وسعادة، مما أدى ذلك إلى ظهور سلوكيات باطلة، وقيم غير أخلاقية، بالإضافة إلى انتشار الفساد على أنه سمة من سمات التحضر[237].

مما أدى ذلك إلى ضياع الأمة من تفشي أكل أموال الناس بالباطل، وكثرة الظلم، وعدم الاهتمام بالجانب العلمي إلا ما ندر من المسلمين أصحاب الوعي[238].

وفي ظل ما سبق نجد أن ما يعيشه المسلمون من ضعف يرجع لأسباب عديدة منها التخلي عن القيم الأخلاقية التي حرص الإسلام منذ ظهوره على غرسها في نفوس المسلمين على الصعيد النظري، وعلى الصعيد التطبيقي، فإذا تمسك المسلمون بالدين الأصيل، وطبقوا قيمه الأخلاقية سيتضح طريقهم في كيفية التعامل مع غير المسلم، لأن هذا هو المنهاج الحقيقي للتفاعل الحضاري، ومن جانبنا نرى بأن غرس القيم الأخلاقية يبدأ من جيل المدارس، والجامعات لأنهم الأسرع تأثيراً وانتشاراً للقيم الموجودة في المجتمع، فعلينا توعية هذه الفئة لتقوية الأمة الإسلامية، وقيادتها للتفاعل مع الآخر.

---

[237] الزيد، حصة عبد الكريم، مدى تأثر القيم الأخلاقية بالتغيرات المعاصرة بالمجتمع السعودي ودور الدعوة في المحافظة عليها (مرجع سابق)، ص280.

[238] الشاهين، محمد عمر، أسباب تدهور الحضارة الإسلامية وسبل تقدمها، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، ع 3-ج7، 2012 م، ص2-3.

3. الأمة الإسلامية بحاجة إلى الشعور بروح العزة

من أهم المعوقات التي جعلت المسلمين في موقف متأخر عن النمو الحضاري، والغرب في موقف استعلاء حضاري هو عدم شعور المسلمين بمدى قدراتهم التي أنعم الله عليهم بها من قوة، وموارد وخبرات، فباتوا في حالة من فقدان الثقة بالنفس والشعور بالإذلال.

ومن المهم الإشارة إلى أن الغرب والمسلمين تنتابهم مشاعر خوف وإذلال متبادلة فالغرب حاول إخفاء تلك المشاعر عن طريق تشكيل موقف عدائي ضد الإسلام، بينما المسلمون لم يتعرفوا على حقيقة ذواتهم واختاروا الصمت ضد المواقف العدائية[239].

والأدهى أنهم الآن في حالة من التبعية للآخر في شتى المجالات سواء الثقافية، أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وتناسوا قول الله تعالى: " الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا"[240]على نقيض العصر العباسي الأول الذي صاحب منتسبيه الشعور بالقوة، والاستعلاء بالإيمان حتى قادوا الآخرين للنهضة، فنرى أن قيادتهم كانت قوية لا تهاب أي عدو خارجي لأنها أدركت حقيقة قوة الدين الإسلامي، فاعتزت به ديناً وهوية عند تعاملها مع غير المسلم لذلك عبرت عن ثباتهم واتحادهم واعتزازهم بالانتماء للدين الإسلامي.

---

[239] للمزيد من المعلومات راجع: بولعوالي، التجاني، الخوف المتبادل بين الإسلام والغرب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء–المغرب، 2021 م.

[240] سورة النساء، الآية 139.

ولأن المسلمين لديهم خلل في حقيقة الدين الإسلامي، والقيم الأخلاقية لن يصلوا للشعور بالثقة، وروح العزة إلا إذا عالجوا النقاط السابقة، واشتدت الروابط الإيمانية لديهم، فموقف التبعية هو أكبر دليل على عدم معرفتهم بحقيقتهم، وقدراتهم، ومواردهم التي يمتلكونها، فمن الناحية العلمية هاجر أصحاب القدرات منهم إلى أماكن تقدر ما يمتلكونه كون مجتمعاتهم لا تثق بهم، ولا تقدم لهم الدعم المناسب، فستقطبهم الآخر واستفاد منهم حتى قادوا مجتمعه إلى النمو الحضاري، وبسبب زيادة هجراتهم أصبحت المجتمعات تعاني من الفقر، وانتشار الفساد، والجهل، والبطالة، والسير وراء الآخر الغربي دون وجود أي إنتاج جديد[241]، أما من الناحيتين السياسية، والاقتصادية يفرض النظام الغربي نظمه على العالم الإسلامي دون وجود أي رفض من قبلهم مخافةً على السلطة.

ومن أهم ما يحيي شعور العزة الحقيقي في نفوس المسلمين:

- تربية الجيل الناشئ على الاعتزاز بانتمائهم للدين الإسلامي، وبهويتهم العربية.
- تقوية إرادة حكام المسلمين عبر الشعوب للمواجهة السياسية ضد كل من يحاول طمس الهوية الإسلامية.
- التحرر من أي سيطرة سياسية، أو اقتصادية، أو ثقافية، أو إعلامية تسيطر على المسلمين، ولا يعني ذلك عدم الاستفادة من الآخرين أو التعامل معهم، بل على العكس يمكن

---

[241] وقد وقفت إحدى الدراسات بتعمق على أسباب هجرة أصحاب الكفاءات إلى العربية إلى البلاد الغربية، راجع: الخلايلة، هدى أحمد، هجرة الكفاءات العلمية والفكرية العربية: أسبابها ونتائجها، مجلة اتحاد الجامعات العربية– الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، 2010 م، ع 55.

الاستفادة منهم، لكن يجب الاستقلال عن عبودية أنظمتهم، وصنع نظام يعبر عن الحضارة الإسلامية.

- نشر الشعارات التي تغذي همة المسلمين، وترسي العزة في نفوسهم بهدف إحياء إيمانهم ومشاركة قدراتهم لبناء مجتمعاتهم.

- التعاون على استثمار الموارد التي يمتلكها العالم الإسلامي في خلق بيئة مناسبة لأصحاب المهارات والاختصاصات المتنوعة تساعدهم على التطور، والإنتاجية بصورة فعالة.

والمراد مما سبق تأتي الاستفادة من العصر العباسي الأول في التفاعل الحضاري عبر التأسيس الداخلي الصحيح للمجتمع الإسلامي من معرفة جوهر الدين الإسلامي والغاية منه، والشعور بروحانياته، وتطبيق قيمه الأخلاقية، والاعتزاز بالانتماء له من جانب ديني أخلاقي، أما من الجانب السياسي الشعور بالعزة والقوة والاستقلال عن كل ما يضعنا في حالة من الاستعباد والذوبان، ومن ناحية المجال العلمي ينقصنا دعم أصحاب القدرات الإبداعية في اختصاصاتهم، والمساهمة في نقل وإنتاج العلوم التي لا تتنافى مع الأسس الإسلامية، فبذلك يكون الإصلاح الداخلي هو العامل الرئيسي الذي يساعدنا على التعرف على حقيقة ديننا الإسلامي، ومن ثم حقيقة الآخر، مما يعلمنا كيفية التعامل معه بشكل يعبر عن الإسلام الأصيل وحضارته العريقة.

المطلب الثاني: التعرف على الآخر وخلق فرص للتفاعل معه.

إن المسلمين في العصر العباسي الأول عرفوا المسيحيين وتعايشوا معهم، وقبلوا بهم كما هم، فقاسموهم معيشتهم، وحاولوا معرفة نقاط الاشتراك، والاختلاف بينهم، وما

يميز هذه الفترة أنهم منحوا لأنفسهم فرصة السماع من الآخر مباشرة دون وجود أحكام سابقة توجههم لكيفية التعامل معه.

بينما اليوم في الواقع المعاصر يرى كل طرف الآخر، لكن لا يريد الاعتراف بأنه موجود سواء من الناحية الدينية أو حتى من الناحية الحضارية، وبالتالي يحجب فكرة التعرف عليه منه، ويتعامل معه بناءً على الصور النمطية التي اكتسبها من وسائل مختلفة يمكن لها أن تحمل في ذاتها مرجعيات لا تمت للآخر بصلة من الأساس، مثال على ذلك كراهية الغرب للإسلام وخوفهم منه.

فالإشكالية هنا تقع في قلة وعي المجتمعات بمدى أهمية معرفة الآخر بطريقة مباشرة منه هو دون السماع عنه[242]، ويتشارك المسلمون في هذه الإشكالية لأنهم لم يعرِّفوا عن الإسلام حقيقةً كما هو، واستهان البعض منهم بهذه الفكرة واختار الصمت عن الحديث؛ مما ولد إشكاليات أخرى كالعنصرية التي تشكلت في أوروبا ضد المسلمين من اضطهادات لفظية وجرائم بشعة، وتوجيه الشعب لمحاربة المواطنين والوافدين المسلمين من خلال إشعال الحقد والكره في نفوسهم باستخدام خطابات الكراهية، ومحاولة بيان المسلمين والإسلام في هيئة خطر يهدد أوروبا خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر[243].

---

[242] هزيم، غطاس، وآخرون، الحوار الإسلامي المسيحي واقعه وخطوات تفعيله-مركز الدراسات والأبحاث الإسلامية المسيحية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2008 م، ص128.

[243] See: Fekete, Liz, A Suitable Enemy: Racism, Migration and Islamophobia in Europe, Pluto Press, London, 2009, p.11-50.

كما حاول الغرب إيهام ذاته، والعالم بأنه الأقوى والمتقدم حضـــارياً كونه يمتلك الوســائل العســكرية، والتكنولوجية فهو أولى بأن يكون المتحكم في هذا العالم من ناحية سـياسـية، وثقافية، واقتصـادية، وللأسـف اقتنع الأغلبية بهذه التصـورات، وانجرفوا وراءها مما جعله في مكانة اسـتعلائية تقوم باسـتبداد الآخرين[244]، فامتلاكه الوسـائل العسـكرية والتكنولوجية لا يعني بأنه متقدم حضـــارياً، ولا يعني بأنه له الحق في الســـيطرة على العالم.

وبما أن هذه الإشـكاليات صـنعت عبر التاريخ بكافة الوسـائل، إذاً لا بد من أن نعيد صنع الوعي بالآخر، وكيفية التعامل معه بحسب مقتضيات العصر.

- **صناعة الوعي بالآخر عن طريق إقامة المناظرات**

حرص الخلفاء العباسيون على تحفيز العلماء على المشاركة في المناظرات العلمية، والدينية كونها تصـنع فرصـاً للقاء المسـلمين والمسـيحيين على قضـايا مهمة تعزز فيهم فرص البحث، واكتساب المعرفة، مما أنتجت هذه الوسيلة مصنفات فكرية، وعلوم جديدة للطرفين.

ولا تزال المناظرات هي الوســيلة الصــامدة منذ العصــر العباســي حتى الآن، وإن حظيت في وقتنا الحاضــر بتطورٍ كبير من بعض الدول العربية قبل الغربية، مثال على ذلك إنشـــاء مركز خاص لتعليم فن المناظرات وهو مركز مناظرات قطر والذي تأســس

---

[244] الشامي، علي، الحضارة والنظام العالمي- أصول العالمية في حضارتي الإسلام والغرب، دار الإنسانية، بيروت- لبنان، ط1، 1995 م، ص322.

عام 2008 م بغاية نشـــر ثقافة الحوار وتطوير أســـاليبه في الوطن العربي أولاً، والعالم بأكمله عموماً إيماناً بأن المناظرات تمكن العقول من المعرفة التي تســـاهم في قيادة المجتمع نحو التقدم[245].

ولا شك بأن هذه الوسيلة من أهم الوسائل التي تعرفنا على الآخر وفكره، فتجعله يتعلم منا ونتعلم منه من خلال الخوض في قضـــايا علمية متنوعة، كما أنها تنمي مهارات التفكير النقدي، والتحليل، وبناء الحجج المنطقية، وهذه هي ذات المهارات التي يحتاجها المسلمون عند إجراء حركات النقل من الآخر غير المسلم.

إننا اليوم بحاجة إلى تطبيق المناظرات في لقاءاتنا مع الآخرين تحت بند التكافؤ بين الطرفين، وخوض الحوار الهادئ واحترام الآخر وتقبل رأيه دون تهكم أو عصـبيه أو حتى اسـتعلاء بهدف يخدم الإنسـانية، ونعرج على أهمية تسـليط الضـوء على القضـايا المشـتركة التي تعاني منها الإنسـانية والتي تقف ضـد أي تطور مثل انتشـار الأوبئة، والكوارث الطبيعية، والفقر، والحروب في أغلب الدول من دول أخرى لأجل اســـتعمارها واستعبادها، والكثير من القضايا التي بحاجة إلى معالجتها من قبل الطرفين.

وذلك لأن المسلمين والمسيحيين هما أكبر قوتين في العصر الحالي فالحالة التي بينهما تخدم فئات لا تريدهما أن يكونا على وفاق أو تفاهم، فيقومون بتصـــوير الدين على أنه

---

[245] الموقع الرسمي لمركز مناظرات قطر: https://qatardebate.org/ar/%d8%b9%d9%86-%d9%85%d9%86%d8%a7%d8%b8%d8%b1%d8%a7%d8%aa-%d9%82%d8%b7%d8%b1

https://qatardebate.org/ar/%d8%b9%d9%86-/%d9%85%d9%86%d8%a7%d8%b8%d8%b1%d8%a7%d8%aa-%d9%82%d8%b7%d8%b1

سـبب في تلك المشـاكل، إذاً لا بد من الصـحوة، والوقوف على تلك القضـايا عن طريق تحكيم العقل، واسـتغلال المناظرات في التعاون مع الآخر ضـد كل ما يهدد الحضـارة الإنسانية.

- **صناعة الوعي بالآخر في وسائل الإعلام الجديد**

استخدم المسلمون في العصر العباسي الأول الوسائل الإعلامية المتاحة حسب عصرهم كالكتابة، والخطابات، والمراسلات، إذ تعد هذه الوسائل مقارنةً بالعصر الحالي وسائل محدودة، فاليوم نمتلك وسيلة مشتركة تسهل وصول ما نريد قوله في وقت قصير، وبتأثير أقوى وذلك من خلال (وسـائل الإعلام الجديد) كونها الوسـيلة الأسـرع في نقل الأنماط الفكرية والقيمية، فهي المسـاهم الأول للعصـر الحالي في إدارة وتوجيه المجتمعات[246].

إذ قام الغرب بتوجيه هذه الأداة لصـالحهم في إدارة المواقف السـياسـية، والمواقف الصراعية ضد المسلمين، فنجد أغلب الوسائل الإعلامية تصور أن المسلمين، وأصحاب البشـرة الداكنة هم المسـؤولون عن الأعمال الإرهابية والإجرامية التي تحدث داخل المجتمعات، فقد حارب الإعلام الغربي مواطنة روسـية دخلت في الإسـلام، وارتدت الحجاب بعد زواجها من شابٍ مسلم، إذ شن هجوماً إعلامياً عليها بكافة الوسائل يؤكد على أن ما قامت به فعلٌ شنيع يؤثر على أفكار المجتمع الغربي[247].

---

[246] المنصوري، الشيباني، صناعة الآخر: المسلم في الفكر الغربي من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت–لبنان، ط1، 2014 م، ص14–17.

[247] بشاري، محمد، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط1، 2004 م، ص36–38.

ولأنهم اســـتغلوا تلك الوســـائل في خدمة مصـــالحهم، لا بد من أن تكون لنا وقفة باســـتثمار الوســـائل الإعلامية وإقامة حملات تعريفية للإســـلام ابتكارية، وبلغة بســـيطة يفهمها عامة الناس كتصوير مدونة لحياة مسلم ومسيحي يعيشون مع بعضهم في مسكن واحد، كذلك يمكن عمل تجربة مجتمعية عن طريق ذهاب المســـلم للعيش في مجتمع مسيحي، وذهاب المسيحي للعيش في مجتمع إسلامي ليتعرفوا عليهم عن قرب، ويدركوا كيفية التفاعل مع بعضـهم عن طريق العيش في بيئة واحدة، فإذا تحسن سلوك الفرد مع الآخرين تحسنت الأمة.

- **صناعة الوعي بالآخر عن طريق الرياضة**

تمثل الرياضـــة دوراً فعالاً في تفاعل الثقافات مع بعضـــها البعض، فهي بمثابة أرض مشـــتركة يلتقي عليها الجميع من أعراق، وأديان، ومرجعيات مختلفة، والتي يمكن من خلالها التعرف على الآخر كما هو يريد، وهذا في حد ذاته يســـاهم في تصـــحيح الصورة الخاطئة عن كل دين أو ثقافة، وذلك عبر الأفراد، والأحداث الرياضية.

فمن خلال الأفراد مثل اللاعب محمد صلاح فكرة التعارف بشكل مؤثر، إذ أنه ساهم في تراجع كراهية الغرب ضد المسلمين منذ انتقاله إلى نادي ليفربول حسب دراسة أجريت عام 2019 ترجع لمعهد سـياسـات الهجرة[248]، فتأثير الفرد هنا جاء من خلال تصـحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام، والمسلمين، مما يساهم في فتح آفاق للتفاعل الحضاري.

---

[248] See: Alrababa'h, A., Marble, W., Mousa, S., & Siegel, A. A. Can Exposure to Celebrities Reduce Prejudice? The Effect of Mohamed Salah on Islamophobic Behaviors and Attitudes, IPL Working Paper Series, standford-zurich, 2019.

أما من جهة الأحداث الرياضـــية فهي من الفرص النادرة التي يســتقطبها المســلمون لأراضيهم، لذلك تزامنت دراستنا مع استضافة كأس العالم في قطر لأول مرة على أرض إسـلامية عربية، وهذه فرصــة كبرى للقاء الآخر، ومعرفة أوجه التشـابه، والاختلاف بيننا وبينه، وكيفية الاسـتفادة من بعضـنا البعض لبناء حضـارتنا خاصـة، والتشـارك في بناء الحضارة الإنسانية عامة.

ولابد من الإشـادة بدور دولة قطر في إبراز الثقافة الإسـلامية عن طريق الطرز العمرانية للملاعب كملعب المدينة التعليمية الذي احتوى على النقش الإســـلامي، بالإضـــافة إلى تأسيس فرق دعوية للتعريف بالدين الإسلامي، ومن الحكمة ضبط النفس في التعامل مع الوفود غير المســلمة لخلق فرص حقيقية كبداية للتعاون وللتفاعل الحضــاري فيما يخدم أمتنا الإسلامية مع التمسك بعقيدتنا وهويتنا[249].

وفي ذات السياق نجد أن أوجه الاشتراك بين العصر العباسي والعصر الحالي في اسـتغلال الفتوحات الإسـلامية، والأحداث الرياضـية التي تتمثل في اسـتقطاب الآخر، والتفاعل معه بهدف الوصـول للتقدم الحضـاري، فالعصـر العباسـي اسـتغل الفتوحات الإسلامية لأخذ الكتب اليونانية التي ترتقي بالحضارة الإسلامية، ودعا أصحاب الخبرات من شـــتى الثقافات للعمل في ظل المســـلمين، كذلك الأحداث الرياضـــية تحاول الدول استقطابها للقاء الآخر والاستفادة من بعضـهم البعض، والوصـول للرقي الحضـاري، لذا

---

[249] للمزيد من المعلومات حول دور الإسلام في بطولة كأس العالم في قطر راجع: الكعبي، لطيفة، والحق، حسين، الإسلام كقوة ناعمة لدولة قطر في تنظيم كأس العالم 2022 م، دار نشر جامعة قطر–مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قطر، 2021 م، ع2.

علينا إيقاف عقولنا عن اســتخدام الوســائل التقليدية، فلا بد من الانفتاح على الوســائل المعاصرة، وعدم الاستهانة بها في الاستفادة منها لحضارتنا الإسلامية.

- **صناعة الوعي بالآخر عن طريق تعزيز التنوع الثقافي.**

بات التنوع الثقافي ضـرورة للوصـول إلى التنمية الحضـارية، فقد أثبت مدى منافعه على المستوى الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والعلمي في العصر العباسي الأول، لما كان له من إحداث التوازن المجتمعي الذي ســـنه الله ســـبحانه وتعالى حينما خلقنا مختلفين، إذ أنهم استطاعوا الاستفادة من ذلك التنوع عبر إدراك كل ما تبرع به كل ثقافة، ومشاركتها ضمن تأسيس المجتمع الإسلامي.

فيعد بذلك التنوع الثقافي سمة تعبر عن التفاعل الحضاري، على الرغم من إشاعة فكرة الصراع بين الثقافات المتعددة، وإلغاء مبدأ التعايش في كثير من النظريات، إلا أن الدراسة قد أوضحت كيفية التعايش بين الثقافات المتنوعة، والتي يبدأ تعايشها من خلال مشاركتها في المناسـبات الثقافية والاجتماعية، مما له أثر في توسـيع آفاق التعاون بين المسـلمين والآخرين على المدى البعيد.

ففي ذات السـياق يجب أن يكون التنوع حافزاً للمسـلمين على معرفة الأنماط الفكرية لدى الثقافات الأخرى وبالتحديد الثقافة التي ينتمي لها المســـيحيون ليتم إثراء الحركة الحضـارية داخل المجتمعات الإسـلامية، ومن المهم الأخذ بعين الاعتبار أن الأرض تسع

الجميع أي أن المنافسة التي بين الثقافات تدخل ضمن التدافع لتشجيع بعضهم البعض لا الصراع وإضعاف الآخرين بغاية إقصائهم[250].

وحتى يستطيع المسلمون الاستفادة من التنوع الثقافي في أُمتهم؛ عليهم أن يحققوا مبدأ العدل والمساواة بين الناس[251]، والذي حاول العباسيون تحقيقه في عدة مجالات، ووضع هدف مشترك في كل دولة، لتتعاون وتساهم جميع الأطراف في تحقيقه.

ومن جانبنا نرى بأن الإصلاح الداخلي لنفس المسلم هو اللبنة الأولى التي تساعدنا على التفاعل مع الآخر وتقوي ذاتنا وهويتنا الإسلامية، إذا أنه سيرشدنا إلى كيفية التعامل مع الآخر المسيحي، وقد حاولنا وضع بعض المقترحات بناءً على مواكبة الوقت الراهن في سبيل الاستفادة من بعضنا البعض في إنتاج المبتكرات التي تنمي الحضارة الإنسانية.

---

[250] الحسني، أحمد عبد الرضا، التنوع الثقافي والتعايش الإسلامي رؤية إسلامية، مجلة الآداب– جامعة بغداد، العراق، 2014 م، ع 109، ص548–549.

[251] الحسني، أحمد عبد الرضا، التنوع الثقافي والتعايش الإسلامي رؤية إسلامية (مرجع سابق)، ص 551.

خاتمة

وبعدما تطرق البحث لدراســة الجانب النظري لمفهوم التفاعل الحضــاري من تحديد للمفاهيم المشـتركة، وإدراك للتصـورات الغربية، والإسـلامية لذات المفهوم، وبيان الجانب التطبيقي من خلال نموذج التفاعل الحضــاري بين المســلمين والمســيحيين في الفترة العباســية الأولى، والكشــف عن أهم المجالات التي نشــطوا وتأثروا فيها من بعضــهم البعض، يمكننا استنتاج التالي:

أولاً: أثبتت العلاقة بين المسـلمين والمسـيحيين في العصـر العباسـي الأول أنه يمكن للأفراد باختلاف ثقافاتهم، ولغاتهم، وأديانهم التفاعل بين بعضـهم البعض على المسـتوى الحضـاري، حيث إن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في تلك الفترة هي علاقة تفاعل وتعايش متبادل، مع وجود بعض من الممارسـات التي دلت على التدافع بين المسـلمين والمسيحيين بهدف قيادة مجتمعاتهم نحو التقدم.

ثانياً: اســتفاد المســلمون من الاختلاف اللغوي للمســيحيين في حركات النقل والترجمة للعلوم المختلفة، ولم تكن اللغة عائقاً للتواصل فيما بينهم، إذ تشجع المسيحيون على تعلم اللغة العربية للتواصل مع المسلمين، والتعاون معهم في شتى المجالات.

ثالثاً: أســهم التنوع الثقافي داخل المجتمع العباســي في تطوير النظم المختلفة للعصــر العباسي الأول كالنظام السياسي، والنظام الاقتصادي.

رابعاً: أسـهم الخلفاء العباسـيون بدور رئيسـي في عملية التفاعل الحضـاري إذ كانوا هم حلقة الوصـــل بين المســـلمين والمســـيحيين في المجال الاجتماعي، والمجال الديني،

والمجال العلمي، وذلك بسبب إظهار اهتمامهم، ودعمهم من خلال مشاركة المجتمع في العديد من الأنشطة مما جعلهم يتعاونون مع بعضهم في تنمية تلك المجالات.

خامساً: تطبيق القواعد الإسلامية من الناحية السياسية والقانونية ساعد في حل خلافات المسيحيين التي كانت بينهم وبين رعاياهم.

سادساً: السعي وراء الشهوات في العصر العباسي الأول يرجع لأخطاء فردية لا تمثل الإسلام كدين، مما كان له أثر في انتشار الفساد الأخلاقي، والذي مهد الطريق لضعف الدولة العباسية في عصورها الموالية.

سابعاً: توافد المسيحيين ورؤسائهم للعيش في ظل حكم المسلمين يرجع إلى سيادة العدل، والمعاملة الحسنة، والتسامح بين بعضهم البعض، ووجود فرص متكافئة للجميع حسب خبراتهم على عكس ما كانوا يعيشونه من ظلم وقمع على يد بني جلدتهم.

ثامناً: رغب المسلمون مشاركة المسيحيين في المناسبات والاحتفالات الاجتماعية والدينية بروح التعايش الوطني بين أبناء الفضاء المشترك.

تاسعاً: نظر المسلمون إلى فتوحاتهم الإسلامية بآفاق مستقبلية عبر الاستفادة من علوم، وثقافة الأمم الموجودة لبناء حضارة متكاملة من كافة الجوانب.

عاشراً: ولدت الحوارات والمناظرات بين المسلمين والمسيحيين أفكاراً ملهمة لإنتاج آليات وعلوم جديدة لدى الطرفين.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- القرآن الكريم

- ابن أبي أصبيعة، موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1996 م، ج 1.

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، 2012 م، ج 5.

- ابن الطقطقا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت–لبنان، 1900 م.

- ابن الكازروني، ظهير الدين علي، مختصر التاريخ (من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس)، مطبعة الحكومة، بغداد–العراق، 1970 م.

- ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت–لبنان، 1997 م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر (تاريخ ابن خلدون)، اعتنى به/ أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان–الأردن، 2009م.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، دار رمادي للنشر، الدمام–المملكة العربية السعودية، ط1، 1997 م، ج 1.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدى خير العباد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1953 م، ج 3.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت–لبنان، 1991 م، ج 3.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت–لبنان، ط 8، 1990 م، ج 10.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، ط1، 2000 م.

- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 2010 م.

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت–لبنان، ط3، 2009 م.

- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، دار المعرفة، بيروت–لبنان، 1979 م.

- أشفيتسرُ، ألبرت، فلسفة الحضارة، ترجمة/ عبد الرحمن بدوي، المؤسسة المصرية العامة، مطبعة مصر،1963 م.

- آل غزوى، حسين، مؤتمر تعارف الحضارات الإسكندرية–19/18 مايو 2011 م، ع 73، 2011 م.

- أمين، أحمد، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط9، 1978 م، ج 3.

- أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية–مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004 م.

- الأهدل، هاشم بن علي أحمد، أصول التربية الحضارية، رسالة دكتوراه–جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض–المملكة العربية السعودية، 2007 م.

- بابو إسحق، رفائيل، أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، مطبعة شفيق، بغداد–العراق، 1960 م.

- بدوي، عبد الرحمن، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (دراسات لكبار المستشرقين)، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1940 م.

- البتنوني، محمد لبيب، رحلة الأندلس، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 2012 م.

- البساطي، أحمد سعد الدين، التبشير وأثره في البلاد العربية الإسلامية، دار أبو المجد، مصر، 1989 م.

- بشاري، محمد، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط1، 2004 م.

- البشري، سعد بن عبد الله، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض–المملكة العربية السعودية، ط1، 1993 م.

- البشري، طارق، المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980 م.

- البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد (منذ تأسيسها حتى سنة 436 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ج 1. (د.ت)

- البغدادي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت–لبنان، ج 2، ج 3. (د.ت)

- البغدادي، صفي الدين، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط1، 1992 م، ج 2، ج3.

– البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة للنشر، الرياض–المملكة العربية السعودية، 1411 هـ، ج 6.

– بك، أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت–لبنان، 1981 م.

– بكار، عبد الحليم، من أجل انطلاقة حضارية شاملة، دار القلم، دمشق–سوريا، ط4، 2011 م.

– البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، مصر، 1901 م.

– بن سليمان، ماري، أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، طبع في رومية الكبرى المسيحية، روما، 1899 م، ج 1.

– بن نبي، مالك، شروط النهضة–مشكلات الحضارة، دار الفكر، دمشق–سوريا، 1986 م.

– بولعوالي، التجاني، الخوف المتبادل بين الإسلام والغرب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء–المغرب، 2021 م.

– تشرني، ياروسلاف، الديانة المصرية القديمة، ترجمة/ أحمد قدري، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1996 م.

– الجاحظ، أبي عمرو عثمان، رسائل الجاحظ –في الرد على النصارى، مكتبة الخنانجي، مصر، ج 3. (د.ت)

– الجهيشاري، أبو عبد الله محمد، الوزراء والكتاب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، 1983 م.

- الجويني، ركن الدين أبي المعالي، الكافية في الجدل، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، 1979 م.

- الحبابي، محمد عزيز، الدينامية المحركة للتاريخ عند ابن خلدون، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1983 م، ع 56.

- حسن، حسين الحاج، النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1987 م.

- حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2019 م، ج 12.

- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط4، ج 2. (د.ت)

- حسن، محمود، والشريف، أحمد، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، مصر، ط3، 1977 م.

- الحسني، أحمد عبد الرضا، التنوع الثقافي والتعايش الإسلامي رؤية إسلامية، مجلة الآداب-جامعة بغداد، العراق، 2014 م، ع 109.

- حسين، وسن، كنائس وأديرة بغداد في العصر العباسي ودورها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي 132هـ-656هـ، مجلة كلية التربية للبنات- جامعة بغداد، العراق، 2018 م، ع7.

- حميد، أفراح، عوامل تواجد النصارى في مدينة واسط ودورهم في الحياة السياسية حتى نهاية العصر العباسي 656 هـ/1258 م، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية-جامعة واسط، العراق، 2016 م، ع 21.

– خاتمي، محمد، حوار الحضارات، ترجمة/ سرمد الطائي، دار الفكر، دمشق–سوريا، 2003 م.

– الخلايلة، هدى أحمد، هجرة الكفاءات العلمية والفكرية العربية: أسبابها ونتائجها، مجلة اتحاد الجامعة العربية– الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، 2010 م، ع 55.

– خليل، سمير، دور المسيحيين في النهضة العباسية في العراق وسوريا – من كتاب المسيحية عبر تاريخها في المشرق، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت–لبنان، ط1، 2001 م.

– الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط3، 1995 م.

– ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة/ زكي نجيب وآخرون، دار الجيل، بيروت–لبنان، 1948 م، ج 1.

– رستم، أسد، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021 م، ج 2.

– روقيلة، يعقوب نخلة، تاريخ الأمة القبطية، مطبعة متروبول، مصر، ط2، 2000 م.

– الزاملي، مجدي خير الله، معجم الصواب اللغوي في أبنية الأفعال، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 2013 م، ج 3.

– زهرة، عطا محمد حسن، تكامل الحضارات بين الإشكاليات والإمكانيات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2014 م.

– الزيات، حبيب، الديارات النصرانية في الإسلام، دار المشرق، بيروت–لبنان، ط4، 2010 م.

– زيادة، معن، معالم على طريق تحديث الفكر العربي، عالم المعرفة–المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1987 م، 115.

– الزيد، حصة عبد الكريم، مدى تأثر القيم الأخلاقية بالتغيرات المعاصرة بالمجتمع السعودي ودور الدعوة في المحافظة عليها، مجلة كلية التربية–جامعة الأزهر، مصر، 2017 م، ع 174– ج 1.

– زيدان، جرجي، تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن، مطبعة الهلال، مصر، ط2، 1911 م، ج 1.

– سعد، جهاد، صهينة الغرب وتتريك العالم الإسلامي، المركز الإسلامي للدراسات الاستشراقية، بيروت–لبنان، ط1، 2018 م.

– سفر، محمود محمد، الحضارة تحد، تهامة للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1980 م.

– السكوني، أبو علي عمر، عيون المناظرات، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1976 م.

– سيلاجيتش، عدنان، مفهوم أوروبا المسيحية للإسلام، ترجمة/ جمال الدين سيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016 م.

– الشابشتي، أبو الحسن علي، الديارات، مكتبة المثنى، بغداد–العراق، ط2، 1966 م.

– الشافعي، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1995 م، ج 2.

- الشامي، علي، الحضارة والنظام العالمي-أصول العالمية في حضارتي الإسلام، والغرب، دار الإنسانية، بيروت-لبنان، ط1، 1995 م.

- الشاهين، محمد عمر، أسباب تدهور الحضارة الإسلامية وسبل تقدمها، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، 2012 م، ع 3-ج7.

- شلبي، أحمد، المسيحية مقارنة الأديان، مكتبة النهضة، القاهرة، ط10، 1998 م.

- شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي-الخلافة العباسية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط8، 1985 م، ج 3.

- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، آداب البحث والمناظرة، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة-المملكة العربية السعودية. (د.ت).

- صحيح البخاري، كتاب الاستئذان.

- صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار.

- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1982 م، ج 1.

- الطبراني، الحافظ أبي القاسم، المعجم الكبير، ج 7. (د.ت)

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت-لبنان، 1994 م، ج1.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، عمان-الأردن. (د.ت)

- العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس-فلسطين، ط5، 1999 م، ج 1.

- العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، 1972 م.

- عبد الحميد، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008 م، ج 1.

- عبده، سمير، دور المسيحيين في الحضارة العربية الإسلامية، منشورات دار حسن ملص، دمشق-سوريا، ط1، 2005 م.

- عبيد، طه خضر، الحضارة العربية الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1971 م.

- عجيبة، أحمد علي، البابوية وسيطرتها على الفكر الأوروبي في العصور الوسطى، مطابع الشناوي، طنطا-مصر، ط1، 1991 م.

- عطية، عزيز سوريال، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة/ إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005 م.

- علوني، عبد العزيز، رسالة ماجستير بعنوان النصارى في العصر العباسي مع مقدمة في حالهم في الأدوار السابقة، كلية الآداب والعلوم-الجامعة الأمريكية، بيروت-لبنان، 1942 م.

- علي، سيد أمير، مختصر تاريخ العرب، ترجمة/ عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط2، 1967 م.

- علي، عصام الدين، بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، 1986 م.

– عمارة، محمد، الانتماء الحضاري للغرب؟ أم للإسلام؟، دار نهضة مصر، مصر، ط1، 2009 م.

– غريفث، سيدني، الكنيسة في ظل المسجد–المؤسسات الكنسية تحت حكم الإسلام، ترجمة/ هشام شامية، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت–لبنان، ط1، 2018 م.

– الغمراوي، محمد أحمد، الإسلام في عصر العلم، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1972 م.

– فلوس، أسامة، رسالة ماجستير بعنوان الآثار الحضارية للترجمة في العصر العباسي الأول، بيت الحكمة نموذجاً، كلية الآداب واللغات–جامعة تلمسان، الجزائر، 2013 م.

– فييه، جان موريس، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة/ حسني زينة، دار المشرق، بيروت–لبنان، ط1، 1990 م.

– القحطاني، محمد بن سعيد، من مفاهيم عقيدة السلف الصالح (الولاء والبراء في الإسلام)، دار طيبة، مكة المكرمة–المملكة العربية السعودية، ط6، 1413 هـ.

– القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط1، 2006 م، ج 20.

– قطب، محمد، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1997 م.

– القفطي، جمال الدين أبي الحسن، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 2005 م.

– القمودي، سالم، العدل والحرية، الدار الجماهيرية–ليبيا، ط1، 1462 هـ.

– قنواتي، جورج، المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان. (د.ت)

– الكعبي، لطيفة، والحق، حسين، الإسلام كقوة ناعمة لدولة قطر في تنظيم كأس العالم 2022 م، دار نشر جامعة قطر–مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قطر، 2021 م، ع 2.

– الكلداني، بطرس نصري، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة والسريان، دير الآباء الدومنيكيين، الموصل–العراق، 1905 م، ج 1.

– كمال، محرم، الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1998 م.

– الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت–لبنان، 1908 م.

– كوكلر، هانس، تشنج العلاقة بين الغرب والمسلمين الأسباب والحلول، تقديم وتعريب/حميد لشهب، جداول للنشر، الكويت، ط1، 2013 م.

– الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1979 م، ج 2.

– لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة/ عادل زعيتر، الدار الأهلية للنشر، الأردن، ط3، 2019 م.

– لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة/عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2012 م.

- لوكلير، جوزيف، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، ترجمة/ جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط1، 2009 م.

- مارشال، جوردن، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة/ أحمد زايد وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2000 م، ج 1.

- الماروردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط1، 1989 م.

- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، 1940 م، ج 1.

- المسيري، عبد الوهاب، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، ط1، 2002 م.

- معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، مطابع التضامن، بغداد، ط2، 1969 م.

- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991 م.

- منصور، حسن، الانتماء والاغتراب، دار أمواج، بيروت–لبنان، 2014 م.

- المنصوري، الشيباني، صناعة الآخر: المسلم في الفكر الغربي من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت–لبنان، ط1، 2014 م.

- مؤنس، حسين، المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978 م.

- الميلاد، زكي، المسألة الحضارية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1999 م.

- الناصري، أبو العباس بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب، الدار البيضاء–المغرب، 1955 م، ج 3.

- نيهاردت، أ.أ، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة/ هاشم حمادي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق–سوريا، ط1، 1994 م.

- هاملتون، أديث، الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة، ترجمة/ حنا عبود، وزارة الثقافة، دمشق–سوريا، 1997 م.

- هزيم، غطاس، وآخرون، الحوار الإسلامي المسيحي واقعه وخطوات تفعيله–مركز الدراسات والأبحاث الإسلامية المسيحية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت–لبنان، ط1، 2008.

- هنتنغتون، صموئيل، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ترجمة/ طلعت الشايب، دار سطور، العراق، ط2، 1999 م.

- هوميروس، الأوديسة، ترجمة/ دريني خشبة، دار التنوير، بيروت–لبنان، ط1، 2013 م.

- يعقوب، إميل بديع، المعجم المفصل في دقائق اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2012 م.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، المكتبة المرتضوية، النجف–العراق، 1918 م.

- يوسف، عبد الولي، محمد، ضوابط التفاعل الحضاري وسائله وآثاره التربوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة–قطر، ط1، 2014 م.

المراجع الأجنبية:

- ABDIEL HARMAKAPUTRA, HANS, Muslim-christian Debates in Theearly ‘Abbasid Period: The Cases of Timothy I and Theodore Abu Qurra, MIQOT, VOL38-NO.2, Indonesia, 2014.

- Alrababa'h, A., Marble, W., Mousa, S., & Siegel, A. A. Can Exposure to Celebrities Reduce Prejudice? The Effect of Mohamed Salah on Islamophobic Behaviors and Attitudes, IPL Working Paper Series, standford-zurich, 2019.

- Alvaro, paul, Indiculus Luminosus in Christian-Muslim Relations, 2010.

- BECKER, C.H, Christianity and Islam, Harper & Bros, LONDON and NEW YORK, 1909.

- Darwin, Charles, The origin of species, collector’s library, London,1859.

- Denffer, Ahmad von, Dialogue Between Christians and Muslims, The Islamic foundation, 1980.

- Descartes, Rene, A Discourse on method and meditations on first philosophy, Translated by: Donald, A. cress, by Hackett publishing company, United states of America, fourth edition, 1998.

- Dunlop, D.M, In Memoriam paul kahle, middle East Institute, published by De Gruyter, Berlin, 1968.

- Fekete, Liz, A Suitable Enemy: Racism, Migration and Islamophobia in Europe, Pluto Press, London, 2009.

- Fukuyama, Francis, The End of History and the last man, free press: Reissue edition, 2006.

- Fukuyama, Francis, The End of History? The National Interest, Washington, Summer 1989.

- HOMER, The Eiliad, Translated by: A.T. Murray, William Heinemann LTD, London, 1954.

- Huntington, Samuel, The clash of civilization, Council on foreign affairs, vol.72, No.3, 1993.

- LE Strange, G, Baghdad during the Abbasid Caliphate, Oxford at the clarendon press, London, 1900.

- Lewis, Bernard, The roots of Muslim rage, The Atlantic Monthly, United States, 266, v3, 1990.

- Marx, Karl, Engels, Friedrich, Manifesto of the Communist Party, translated: Samuel Moore in cooperation with Frederick Engels, Source:

Marx/Engels Selected Works, Vol.1, Progress Publishers, Moscow, 1969.

- Pierre, Jean, Myth and tragedy in Ancient Greece Paperback, Zone books, 1990.

- putra, Hans Abdiel Harmaka, Muslim – Christian Debates in the Early 'ABBASID Period: The cases of Timothy I and Thedore Abo Qurra, MIQOT, INDONESIA, Vol 38-No.2, 2014.

- William, Charles, Previte-Orton, C.W, Brooke, Z. N. and others, Cambridge Medival History, The Eastern Roman Empire (717-1453), Cambridge University Press, England, Vol 4, 1936.

المواقع الإلكترونية:

- العهد الجديد: https://st-takla.org/pub_newtest/Arabic-New-Testament-Books/Arabi-Bible-New-Testament-Chapters.html
- موقع البطريركية اللاتينية: https://www.lpj.org/ar/liturgical-office/item-1596174989.html
- الموقع الرسمي لمركز مناظرات قطر:

https://qatardebate.org/ar/%d8%b9%d9%86%d9%85%d9%86%d

8%a7%d8%b8%d8%b1%d8%a7%d8%aa-

/%d9%82%d8%b7%d8%b1

- American Dictionary:

https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/inter.

- Cambridge dictionary:

https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/action

- Collins Dictionary:

https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/inter.

- Collins English Dictionary. Copyright © HarperCollins Publishers in

American English:

https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/interaction

- Latin Dictionary: https://www.online-latin-dictionary.com/latin-

english dictionary.php?parola=inter

- Oxford Dictionary:

https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/culture_2

- Oxford Dictionary- The American Heritage® Dictionary of the

English Language- Fifth Edition copyright ©2022 by HarperCollins

Publishers. All rights reserved:

https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/civilization

- Webster's New World College Dictionary, 4th Edition. Copyright © 2010 by Houghton Mifflin Harcourt. All rights reserved: https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/interaction .